مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

آني داوود

فريد الفالوجي

أطلس



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن.. فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

آنـى داوود :

فتاة أردنية عاشت مدللة منعمة فى كنف أسرة ثرية، سافرت إلى أوروبا وعرفت حياة الحرية المنحلة وعدم الانضباط، وتمردت على العادات الشرقية، فالتقط الموساد هذه الصفات واستطاعوا شراء ضميرها، وكانت استجابتها سريعة حيث كلفت بتقصى أخبار رجال المنظمات الفلسطينية ورجال المقاومة، ومراكز إقامة القادة، وأدت مهمتها بنجاح كبير، وفى النهاية وقعت الخائنة وحكم عليها بالإعدام شنقاً ولكن لم ينفذ الحكم، وتمت مبادلتها مع فدائيين من حركة فتح وسلمت إلى إسرائيل!

الناشر





مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

آنى داوود

فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى
٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٤٢-٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطـن وبذلـك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة علـى أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى قصتنا هذه .. سنندهش أمام حالة فتاة أردنية من أسرة ثرية راقية .. أحبت طيارا يهوديا وتزوجته .. ولما أسقط السوريون طائرته انتقمت لمقتله بأن تجسست ضد الفلسطينيين لصالح الموساد.. حتى كانت نهايتها المثيرة!!

هذا .. والله الموفق والمستعان..

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

آنى داوود



خيانة الوطن جريمة نكراء لا يقترفها إلا شخص بعينه، تسبح الخيانة فى دمه، ولا تترك له الفرصة ليتوقف كى يفكر فيما هو مقدم عليه.

إنها تسكن الخلايا والأنسجة وتظل كامنة لا تنشط لدى البعض ، والبعض الآخر تطحنهم لسعادتها وهم يتلذذون بسعيرها وقد طمست لديهم نبضة العقل .. ورعشة الشعور..!!

شركسية من عمّان

تعرضت عمان فى عامى ١٩٠١ ، ١٩٠٢ إلى هجرات الشركس والشيشان، وبنوا مساكنهم حول المدينة وضواحيها. وفى عام ١٩٣٩ بإحدى ضواحى عمان الراقية، ولدت أمينة داوود المفتى لأسرة شركسية مسلمة. كان والدها تاجر مجوهرات ثرى، وعمها ضابط بالقصر الملكى. أما والدتها فسيدة مجتمع تجيد أربع لغات.

ولأنها أصغر أخواتها، شقيقتان متزوجتان وثلاثة أشقاء آخرين. حظيت على قدر عظيم من التدليل العائلى، جعلها تفوز بمباركة والدها لكل خطواتها، بما فيها السفر إلى النمسا لإكمال تعليمها الجامعى هناك، بعدما حصلت على الثانوية العامة عام ١٩٥٧، وهو تقليد متبع ومشهور بين أبناء الأثرياء فى الأردن.

كانت أمينة داوود فتاة رقيقة الملامح، طموحة ، ذكية، تسخر من تقاليد الشرق وتحلم بالتحرر والانطلاق ، وفى مرحلة التعليم الثانوى ارتبطت بشاب أردنى من اصل فلسطينى اسمه «بسام » ، أحبته إلى درجة العشق، وصدمت فى حبها عندما هجرها إلى أخرى أجمل منها.

أسلوب تربيتها خلق منها إنسانة أنانية .. سريعة الغضب .. متقلبة الأهواء. لكن حبها لبسام كان على العكس.. قويا .. جبارا وعاتيا .

لذلك كانت الصدمة شديدة، والرغبة فى الانتقام أشد ، إلا أن نجاحها فى الثانوية العامة بمجموع متواضع، ولد لديها الرغبة فى الهرب من عمان، بعيدا عن ذكريات الحب الفاشل.

تقول أمينة فى مذكراتها[1] بشكل تفصيلى عن هذه المرحلة الهامة من مراحل حياتها:

٢٧ تشرين الأول ١٩٥٦ :

ـ «اليوم هو عيد ميلادى السابع عشر.. لست أدرى لماذا تجتاحنى أحزان مجهولة يوم ميلادى.. فمنذ عدت إلى البيت من المدرسة وأنا أميل إلى الوحدة .. برغم مظاهر الفرحة التى تملأ البيت من حولى.. ترى.. هل لغياب «بسام» عن المدرسة اليوم صلة بذلك..؟

كان بالأمس قد هاتفنى ونقل إلىّ حالته الصحية السيئة.. التى

---

(١) مذكرات أمينة المفتى لم تنشر من قبل، ولدى أنا الوحيد صورة لهذه المذكرات. أما الأصول فقد استولت عليها إسرائيل بشكل أو بآخر فى عملية غزو لبنان سنة ١٩٨٢، والآن أحاول أن أعيد التعامل مع هذه الأوراق القديمة لكى أعدها للنشر إن شاء الله..!!

قد تعوقه عن مغادرة بيته اليوم.. لكن ألا يهاتفنى اليوم مهنئاً..؟ أيعقل أن ينسانى هكذا حتى يوم عيد ميلادى..؟!!

انتهى الحفل مبكرا كالعادة.. وهدايا الأهل والأصدقاء تملأ أركان حجرتى.. لكننى برغم ذلك مازلت حزينة.. وخائفة.. وعندما اطلعت على حظى بكتاب الأبراج.. كان طالعى ببرج العقرب يحمل أنباء غير سارة تنتظرنى .

فقد قرأت أن برجى مائى طبيعته البلغم لأنه بارد رطب، المولودة به تكون امرأة بيضاء اللون تميل إلى صفرة معتدلة الطول، حسنة الوجه مقرونة الحواجب، ملفوفة الساق، نمامة، مليحة العينين، غليظة الكفل، كثيرة الخصام والنوم والمغامرة، لا تمر بأحد إلا خاصمته، تحب الرجال والترحال ، سريعة البطش، حاذقة نحريرة، ترى أهوالاً كثيرة وتنال حرق نار، ولا تعرف لحبيبها قبرا، كلما كبر سنها بغضها الناس، ولا ترزق بولد.

أما الحبيب فهو أشقر اللون بحمرة، أزرق العينين ، مدور الوجه، أحمر الشفتين، معتدل القامة، حسن الصورة، ببطنه علامة وعلى فخذه شامة، يحب النساء والخمور ويكره عناقيد البخور، كثير الأسفار، عمره قصير وميراثه وفير.

٣ أيلـول ١٩٥٧:

غدا سأودع أهلى وأطير برفقة والدى إلى فيينا.. أمضيت نهارى بحديقة البيت مع صديقاتى.. كن يضاحكننى وبوجوههن يطفح الحزن.. وكنت أبدو متحمسة وبداخلى رعب دفين لا أعرف كنهه.. والتقطت صديقتى خلود عدة صور جمعتنا معا بين الأشجار والزهور..

وعندما صعدت لحجرتى لأنام وجدتنى لا أستطيع.. تمنيت والهاتف إلى جوارى أن يفعلها «بسام» لكنه ذهب إلى بعيد وتركنى أقلب خيالى فى ذكرياتنا.. وأناجيه بلا مجيب.. أحقا نسانى..؟

قمت إلى النافذة لعلنى أراه يطوف ببيتنا.. كانت السيارات تمرق ولا أحد يلتفت ناحيتى.. لا أحد يفكر بمأساتى.. لا أحد يهتم بأوجاعى التى نزفت.. أو يمسح عنى دمعاتى. لا احد..!!

مزقت عقلى خواطرى التى استأسدت ونهشت زخائر صبرى.. وبقيت يقظة طوال الليل فى أرق.. وأعتقد أننى نمت عند آذان الفجر.

٤ أيلـول ١٩٥٧:

حينما ارتفعت الطائرة بنا إلى سماء عمان بكيت غصبا عنى..

وربت والدى على كتفى وهو يبتسم مطمئناً.. واجتاحتنى شحنة عنيفة من الشجن فشلت فى كبحها.. وعندما حلقنا فوق مطار فيينا فقبلما نهبط كنت قد هدأت وانشغلت بمشاهدة المدينة من النافذة.. ولا أدرى كيف شرد عقلى فأغمضت عينى وطارت بى الأفكار بعيدا حتى أيقظنى والدى.. وقال لى:

ـ هذه هى فيينا يا أمينة.. بين بيوت هذه المدينة الساحرة ستعيشين عدة سنوات.. وكما بكيت عند مغادرتك لعمان ستبكين أيضاً ذات يوم.. لأنك خَلَفتِ وراءك مراتع ذكريات لن ينسيكِ إياها الدهر أبدا.

وقبلما أستوعب ما قاله أبى.. عاد فقال لى:

ـ إننى يا ابنتى خائف جدا عليكِ .. فهل ترى ستكون أيامك هنا فروحة كشبابك الغض البديع.. أم هى رحلة معاناة ستذوبين فى محيطها..؟

كانت كلمات والدى غامضة تغلفها نبرة هى الأقرب إلى الندم.. ربما الندم لأننى سأبقى وحدى فى خضم هذا العالم الغريب.. ندم القائد الذى خطط لإحدى العمليات دونما دراسة كافية لشتى الجوانب.

وعندما غادرت مطار فيينا.. طرت مع الأحلام والأمنيات وانا

أشاهد الأشجار والحدائق والشوارع والنافورات .. وتملكنى صمت يسيّجه الانبهار بالمدينة الجميلة الساحرة.. وكانت رائحة الورود تتخلل أنسجتى فاسكر من النشوى .. وتصطخب بأعماقى أعذب المشاعر.. فها هى ليلتى الأولى فى أوربا.. ما أجملها من متعة الإحساس بالإثارة وتموجات الخيال فى أبهى مظاهر الحقيقة..

خطوات على الطريق

فى المنزل رقم ٥٦ بشارع يوهان شتراوس، أقامت أمينة داوود عدة أسابيع قبلما تلتحق بالقسم الداخلى لسكن الطالبات المغتربات بجامعة فيينا، وتسجل اسمها بكلية الطب.

أسبغت عليها حياتها الجديدة سعادة غامرة، ودفئاً من نوع آخر وقد جمعتها الحجرة بطالبة أفريقية فى نهائى الطب من جوها نسبرج تدعى جولى باتريك، لها خبرة كبيرة فى الحياة، وفى منتزهات المدينة الساحرة، والحرية اللانهائية.

علمتها جولى باتريك التدخين، وحذرتها من العلاقات الخاصة مع الشباب حيث حب الاستحواذ وربما الحمل والإجهاض، وحببت إليها أسلوب خاص بالنساء، يرتقى بالمتعة إلى ذروة الانتشاء والأمان..

استمتعت أمينة بالتساحق مع جولى الخبيرة بالشذوذ، وأدمنت الفعل الخبيث حتى الثمالة. ورأت فيه حريتها المطلقة وتحررها من قيود الشرق .. والخجل.

ومع انتهاء العام الدراسى الأول، وعودة جولى إلى وطنها، افتقدت أمنية لسعات الخدر التى أدمنتها، فتقربت من فتاة أخرى تتدعى جينفيف وترود، وسعت لإدارة المدينة الجامعية لتشاركها الحجرة، والشذوذ الذى تزداد كل يوم جرعاته المتلاحقة.

وجاء فى مذكراتها :

٩ أيلول ١٩٥٧:

إنه حلم رائع أرى فى يقظتى تفاصيله وأعيها.. حلم يمر أمام ناظرى ناعم الملمس حلو المذاق.. لقد كنت أحيا فى فلاة جدبها موحش قاتم.. واليوم أخالنى فى جنة الله التى لا مثيل لها.. جنة ما أبهى تضاريسها الخلابة وروعة صفاءها.. إننى ما كنت قبل اليوم حيَّة تمتص خياشيمى الهواء.. بل كنت دفينة الجهل بين مقابر الظلام وعادات التخلف منذ القرون الغابرة..

يا ليتنى كنت هنا منذ الطفولة أرتع.. حيث الحياة بلا قيود أو

متاهات الغباء التى سكنت بلادى.. وعششت كالخيمة السوداء تحجب النور الذكى.. موروثة من جيل إلى جيل لا تموت.

هنا الحياة ملأى ضجيج أغنيات وموسيقى.. وتموج بلذاذات ليس لها حدود.. لذاذات انستنى ذلك الكلب العقور الذى خاننى فى عمان.. وكنت أخشى أن تظل ذكراه تؤرقنى وتطاردنى.. لكننى بصقت على ذكرياتى معه وعلى كل لحظة استبد فيها بفكرى.. بين الزحام هنا تاهت منى ملامحه.. انسحقت تماماً فى خيالى..

ياه.. كم كنت ساذجة بحق عندما أحببته.. وظننت أن الحياة بدونه بلا جمال أو مذاق.. الآن عرفت الحقيقة.. واكتشفت مدى غبائى وجهلى.. فمن يغيش بفيينا لا يعرف حزناً أو ألم.

اليوم تركنى والدى وغادر إلى عمان.. ترك لى الكثير من النقود والنصائح .. وسأبقى هنا بحجرتى وحدى فى «٥٦» شارع يوهان شتراوس..

٢٨ أيلول ١٩٥٧:

كان علىّ اجتياز دورة مكثفة فى اللغة الألمانية.. قبلما أنخرط فى دراستى بكلية الطب .. فنجاحى فى الألمانية هو أهم شروط

الالتحاق بالجامعة.. حيث تدرس العلوم بالألمانية لغة البلاد هنا.

لذلك .. التحقت بأحد معامل اللغات للطلاب المغتربين.. ويقع مقره داخل أسوار الجامعة.. وإن كان هذا لا يمنعنى من الاستمتاع بالخروج والتجوال بحرية بين المتنزهات والمحال التجارية.. تساعدنى معرفتى بالإنجليزية فى التحرك.. ويضايقنى كثيرا إصرار البعض على تجاهل إنجليزيتى والتحدث بالألمانية التى لم أفهمها بعد. لكن المثير فى الأمر أن لسانى قد تحرك اخيرا.. وفقدت إلى حد كبير توترى حينما أحادث غرباء..

كنت عكس أغلب الطلاب الوافدين أجد سهولة فى اللغة الألمانية.. وأسلوب نطقها.. لذلك كنت أتقدم بسرعة فى تعلمها دون صعوبة.. وأساعد زملائى فى شرح ما ندرسه منها.

كتبت اليوم أولى رسائلى إلى صديقتى «خلود» ضمنتها وصفا دقيقاً لحياتى هنا.. وتعجبت لأمرى عندما أوشكت أن اطلب منها تقصى أخبار «بسام» .. فهل أكذب على نفسى وأتصور بأننى قد نسيته..؟

١٣ تشرين الأول ١٩٥٧:

انتقلت اليوم لبيت الطالبات المغتربات.. المبنى رائع ونظيف

وتحيط به حديقة مزهرة .. وتطل حجرتى ذات السريرين والحمام على حديقة دائرية خيالية التنسيق.. وجاءت إقامتى مع طالبة بنهائى الطب من جوهانسبرج.. اسمها «جولى باتريك».. لأجل تنشيط لغتى الألمانية.

فى البداية اعتقدت بأنها زنجية إفريقية ..لكننى دهشت عندما وجدتها فتاة شقراء ذات حسن خلاب..

«جولى» فتاة رقيقة تكبرنى بنحو خمس سنوات.. تدخن السجائر.. وتسخر من ملابسى وعاداتى .. وتتوعد دائماً بأنها لن تعود إلى وطنها إلا وقد غَيَّرتنى.. من الخارج والداخل.. هكذا تقول.

لقد علمتنى أن أدخن فى تحرر كالأوربيات.. وكانت التجربة الأولى مريرة وشاقة.. وعلمتنى أيضاً كل ما لم يخطر ببالى من قبل.

أفهمتنى «جولى» أنها تنأى بنفسها عن علاقات خاصة بالشباب.. ولا ترتبط معهم إلا بعلاقات زمالة واحترام.. ويجب علىَّ أن أحذو حذوها كى تمر سنوات الغربة والدراسة بلا منغصات.. لكى أعود إلى وطنى فى أمان..

١٩ كــانون الأول ١٩٥٧ :

تبدلت فتاة الشرق التى تكره التخلف وترنو إلى التحرر.. تبدلت كثيرا .. فكرا.. وروحاً.. وعقلاً.. ومشاعرا.. هذه هى الحقيقة بلا كذب.

فذات يوم كنت أهوى «بساماً» وأعشقه.. واليوم أدمن «جولى» وأبغيها .. صارت كالخمر عندى أطلبها وأنشدها.. وأشربها لذائذ كالدفق تصلينى.. فتبعث الرجفات موجات لا تهدأ.. لكن تثور فيصطخب العمر منى لواعجا عجباً..

الآن أن لم أعد أنا .. بل تشكلت بأشكال أخر .. نضت فتاة الشرق حياءها.. وغدت اليوم ملامحها جديدة.. ودواخلها جديدة.. وثقافتها جديدة.. كلها صارت جديدة فى جديدة.

هل ترى فى الشرق روح من هنا..؟

هل ترى فى البداوة والمجاهل بعض نور من هنا..؟

وهل هناك بعض أمل فى أن تباد عقول تجهل كيف يحيا الناس هنا..؟

إنهم فى بلاد الشرق.. فى بلادنا..

الناس تحيا فى الزرائب كالغنم..

منافقون خاملون أغبياء كالصنم..

وعندما كبيرهم يُضَرِطُ .

يهلّلونَ للفراسة والحِكَمْ..

ويؤرخون فُساؤه كبلاغة..

فاقت بها عروبتى كل الأمم[1] .

إن جـذور أسـرتى الشركسـية الأصـل لم تكـن أبـدا رخصـة للعقلانية فى النظر لحقوق المرأة .. فالعشيرة الشركسية فى عمان أصيبت بذات الفيروس اللعين، وأخذت من تقاليد البـداوة معايـيرا فى شتى أمورها..

إذ كان لزاماً علينا ـ نحن النساء الشركسيات ـ ألا نبدو بين عامة الناس كنسيج مغاير منهجا وسلوكا.. وشكلاً..

إلا أن ثمة اختلافات كبيرة كانت جلية خلف الجدران لا يراها أحد سوانا..

فالشراكسة كانت تضمهم عادات موروثة أصيلة.. لا تكاد تظهر

---

(١) ونعم البلاغة حقا.. يا أمينة..!!

إلا فيما بينهم.. وتربطهم جميعاً أهداف واحدة سعوا لتحقيقها.. كان من أهمها التعليم ، والترقى إلى المناصب ، والتجارة.. فتتحقق لهم بذلك مكانة مرموقة.

بيد أن الرؤى على حقيقتها بدت مبهمة غيمية..فلا نحن ذائبون فى نسيج العادات العربية البدوية من ناحية.. أو تظللنا عاداتنا الخاصة من ناحية اخرى.. لذلك فقد انسحقت هويتنا وفقدنا الكثير من أصول جذورنا.. لكن بقيت هناك بعض أطلال تحضر تحكم سلوكنا فى أقل القليل من المواقف.

وما بين هذا الانسحاق ومظاهر الذوبان.. بدت شروخ وتصدعات فى عقولنا نحن الصغار.. حيث البداوة فى السلوك الظاهرى.. وبالباطن رفض لها.. وتمرد.. وكان تعليم أبناء الأثرياء فى جامعات أوربا أحد مظاهر الصراع بين العلم والتخلف فى مجتمع من الجهلاء.

هكذا مرت سنوات الدراسة بجامعة فيينا، مليئة بحرية الغرب، ورغبة فتاة الشرق فى التواصل إلى أن تحصل بعدها أمينة على بكالوريوس علم النفس الطبى MEDICAL PSYCHOLOGY «وهو فرع من فروع الطب يدرس فى أوربا، مختص بدراسة استجابة الشخص للمرض، بهدف خلق أكفأ ظروف تناول المريض

علاجياً، بما يتفق مع ملامح شخصيته الفردية.

كما أنه يختص بطرق البحث السيكولوجى التى تستخدم الدراسة الإكلينيكية للحالة العقلية للمريض، فيما يتصل - ليس فقط بمرضه ذاته - بل أيضاً بالإمكانيات التعويضية الكامنة فى شخصيته.»

وفى أغسطس ١٩٦١، عادت أمينة داوود إلى عمان مكرهة، ولأنها اعتادت الحياة الأوربية والحرية الخاطئة، أقنعت أهلها أنها ستكمل دراستها العليا فى النمسا. وعادت من جديد إلى فيينا تحمل رغبة عارمة فى ألا تعود إلى الشرق أبدا.

آنى موشيه

ثلاثة وعشرون عاماً ونيف هو عمر أمينة المفتى عندما أنتهت دراستها الجامعية. ازدادت أنوثة ، ونضجاً .. وكراهية لموروثاتها ، ولم تكن تكتفى بما يرسله إليها والدها من مصروف شهرى، بل سلكت مسلك الفتيات الأوربيات اللائى اعتدن العمل وقت الدراسة، فعملت موظفة بورشة صغيرة للعب الأطفال.

وفى المسكن القديم - ٥٦ شارع يوهان شتراوس - عادت للإقامة

من جديد . وساقت إليها الظروف فتاة يهودية تدعى « سارة بيراد» ، شاركتها العمل والحجرة والشذوذ.

انتشرت في أوربا في تلك الفترة من أواسط الستينات، أولى موجات شباب الهيبيز، فانخرطت أمينة مع سارة في التيار الجارف الجديد، ونسيت دراستها العليا، وتجاهلت رغبة أسرتها في تزويجها .. حيث ينتظرها ابن عمها الصائغ الماهر الثرى.

وفى زيارة لمنزل « سارة » في وستندورف بعيدا عن فيينا، بقوة لم تستطع دفعها، دق قلبها واصطخبت عواطفها بعنف، لكن هذه المرة لموشيه. شقيق سارة الذى يعمل طيارا عسكريا ويكبرها بنحو سبع سنوات.

حاولت كثيرا ألا تنجرف لكنها لم تكن تتشبث إلا بالهواء . وفي نزهة خلوية جمعتهما ذاقت أول قبلة من رجل. وأحست بروعة المذاق والمشاعر.

وقالت فى نفسها :

ـ « يا للغباء .. نحن خلقنا للرجال»..

وبين أحضانه، تأملت صدره العارى المشعر، وغرفت من لذائذ شبابه، ما أذهب بعقلها.حينئذ .. أفرغت كل مشاعرها بين

يديه.. وبصدق .. وضعف .. اعترفت له بحبها.

هكذا خطت أمينة خطوات الحرام مع الطيار اليهودى .. وهى المسلمة. وترنحت سكرى بلا وعى لتستقر فى الحضيض. ولما أفاقت إلى حقيقة جرمها هربت منه إلى فيينا. وقد استشعرت دنس الجسد وغباء العقل .. والرغبة.

فهل ابتعدت عنه أمينة المفتى وندمت على ما حدث بينهما..؟

لا لم تندم أو تبتعد.. وأسكتت تأنيب ضميرها عندما ادعت لنفسها بأن من حقها أن تعيش، وتحيا، وتجرب كل شئ كما تفعل الفتاة الأوربية.

هكذا مرت خمس سنوات فى انحلال وترد، كانت قد حصلت خلالها على الماجستير لكنها فشلت فى الحصول على الدكتوراه، مما اصابها بالإرهاق النفسى والإحباط . فأشفق عليها موشيه وساعدها فى استخراج شهادة دكتوراه مزورة فى علم النفس المرضى - PATHOPSYCHOLOGY - وهو فرع من علم النفس الطبى، وعادت أدراجها إلى الأردن فى أغسطس ١٩٦٦، ليستقبلها الأهل فى حفاوة وفخر، ويطالبونها بإعلان موافقتها على الزواج من ابن عمها الذى ينتظرها ، لكنها طلبت منهم إمهالها حتى

تحقق حلمها فى افتتاح مستشفى خاص فى عمان.

وبينما إجراءات الترخيص للمستشفى الجديد تأخذ مجراها الطبيعى، حدث خلاف بينها وبين وكيل الوزارة المختص، فتشكوه إلى وزير الصحة الذى يبدى اهتماماً بشكواها، ويأمر بالتحقيق فورا. فتشك اللجنة القانونية بالوزارة فى تصديقات الشهادة، وتطلب منها تصديقات جديدة من فيينا.

توقفت شتى أعمال التشطيب والتجهيزات الفنية بالمستشفى لحين انتهاء التصديقات التوثيقية بأمر من الوزير، برغم ضغوط أقاربها ذوى المناصب المرموقة. وعلى ذلك قررت أمينة الهرب إلى النمسا قبل انكشاف مؤهلاتها العلمية المزورة، متخمة بالغضب وبالكراهية لبلدها.

هناك .. عاودها الحنين إلى موشيه، فأسرعت إليه غير نادمة، وفشلت كل الفشل فى الابتعاد عنه، حتى بعد ما انكسر وطنها العربى بنكسة ١٩٦٧ ، فكانت تعلن شماتتها بلا ذرة من وطنية.. أو خجل ، إذ طفحت منها الكراهية لكل ما هو عربى.

وبين ندف الجليد المتساقطة فى ديسمبر، كانت فى نزهة مع موشيه ويعبران معا جسرا خشبيا قديما بإحدى حدائق فيينا.

وفجأة استوقفها موشيه قائلاً لها:

- آمنة... لماذا لا نتزوج..؟

دون أن تفكر وهى تخاصره فى امتنان وحب:

- أوه موشيه الحبيب... نحن زوجان بالفعل يا عزيزى.

أجابها بحسم ملاطفاً:

- أريده زواجاً رسمياً فى المعبد.

ودون أن تتوقف لتفكر أعلنت موافقتها فى الحال..

وتزوجت عن قناعة من موشيه زواجاً محرماً شرعاً، واستبدلت اسمها بالاسم الجديد:«آنى داوود موشيه بيراد» بعدما اعتنقت اليهودية فى معبد شيمودث فى فيينا .

البحث عن المستحيل

عاشت أمينة «آنى داوود» على أعصابها مع موشيه بشقة جديدة تقع على أطراف فيينا، حيث رأت أن تنأى بعيدا عن أماكنها المعروفة خوفاً من المخابرات الأردنية التى تصورت أنها تسعى وراءها لقتلها بإيعاز من عمها. لدرجة أنها كرهت الخروج من البيت. إذ تغلبت عليها هواجس الخوف الشديد كلما التفت أحد المارة إلى نافذتها بالصدفة.

لقد عاشت فى عزلتها تجرع الخوف والتوتر فى كل لحظة، وكثيرا، ما استيقظت فزعة صارخة باكية تتحسس مسدسها المحشو وتصوبه إلى أركان الغرفة. ومع ازدياد حالتها النفسية سوءا فكرت بالهجرة إلى إسرائيل هى وزوجها. بيد أن موشيه كان يحب النمسا ولا يفكر بإسرائيل، حتى وقعت على إعلان مثير. كان ذلك فى عام ١٩٧٢ عندما قرأت «آنى داوود» إعلانا تطلب فيه إسرائيل متطوعين من يهود أوربا للالتحاق بجيش الدفاع. وبعد إلحاح مستميت منها وافق موشيه على تقديم أوراقه، وما هى إلا أيام حتى كانا معاً فى إسرائيل.

حظيت أمينة / آنى باستقبال رائع فى مطار اللد، استقبال تحير أمامه زوجها موشيه الذى ظن لأول وهلة أن زوجته إما أن تكون شخصية مرموقة جدا ومعروفة فى عمان، أو أنها ممثلة عالمية مشهورة تطاردها الأضواء أينما حلت.

ابتسم فى رضا وسعادة وهو يرى مدى بهجتها وفرحها الطفولى بالوطن الجديد، وبالمسكن المريح الذى أعد لهما بشكل مؤقت فى تل أبيب، ثم سرعان ما انتقلا إلى بيت رومانسى فى «ريشون لتسيون» الذى بنى على طراز الريف الإنجليزى.

وبرغم بساطة الأثاث إلا أن الزوجةى المهاجرة كانت راضية كل الرضا عن الحياة الجديدة التى بدأت فى إسرائيل بعيدا عن مطاردة المخابرات العربية لها، ومع شعورها بالأمان لم تعد تفكر إلا فى إسعاد زوجها وتوفير عامل الاستقرار النفسى له فى الوطن الجديد الذى هاجر بها إليه ليرضيها فقط .

وبعد مرور عدة أيام استدعيت لأحد مكاتب الأمن بالمدينة، ويبدو أنه كان فرعا من فروع الموساد، حيث سئلت مئات الأسئلة عن نشأتها فى الأردن، وعائلتها، ووظائف أقاربها ومعارفها، وعن كيفية تعارفها وموشيه، وزواجهما.

سئلت أيضاً عن شعورها بعدما تخلت عن دينها وتهودت.. وعما تمثله إسرائيل فى وجدانها.

فأجابت بالنص:

- «تهودت لأن زوجى هو كل شئ لى فى الحياة، ومسألة التخلى عن دينى كانت أهون لدى من أن أفقد موشيه. وعلى كل، كان على أن أفعل ذلك لأؤكد لزوجى أننى أحبه.. احبه للدرجة التى أفضله فيها عن والدىّ وأهلى.. ودينى» !

وقالت أيضا :

- « وعما تمثله إسرائيل فى وجدانى.. أعترف بأننى لا أفكر كثيرا فى السياسة ولا أحب التكلم فيها.. لكننى لا أحب الشعب الفلسطينى بالمرة ولا أرى أنه أحق بالأرض هنا وحده.. إن إسرائيل دولة متقدمة وعصرية، وديمقراطية أيضاً. وهؤلاء الذين يطالبون بحقوق لهم من المؤكد أنهم سيرضخون فى النهاية للحل الذى يعرض عليهم بعد أن يتملكهم اليأس.

إننى لأعجب من دولة صغيرة تتفوق بجسارة على العرب أجمعين، فتدك قواهم العسكرية والاقتصادية والسياسية، وتحتل

أرضا جديدة أكبر من مساحتها مرات ومرات.. لذلك فإننى انظر إلى إسرائيل بإعجاب.. وأنا الآن سعيدة، لكونى أصبحت إسرائيلية»..!!

وأضافت:

- «لقد أخطأ الملك حسين كثيرا عندما لم يسكت المنظمات الفلسطينية، خاصة منظمة التحرير، وأن يقتل هؤلاء القتلة جميعاً، إن هؤلاء الناس يكرهون الأقلية الشركسية فى الأردن.. ففى الأحداث الأخيرة التى سميت فيما بعد بمذابح ايلول الأسود، ضرب رجال منظمة التحرير بيوتنا.. وأتلفوا ممتلكاتنا وأحرقوها.. ظناً بأن عمى - وهو لواء الآن بالبلاط الملكى - كان وراء هذه الأحداث التى انتهت بطرد المنظمة من الأردن» !

أعيدت آنى / أمينة إلى بيتها ليبدأ عمل الموساد فى التحرى عنها وجمع أخبار وافية عن حياتها فى الأردن وفيينا، فربما تكون هناك عملية استخباراتية عربية غاية فى الدهاء لاختراق المجتمع الإسرائيلى من الداخل، كذلك كشف الأسرار العسكرية نظرا لتواجد موشيه بيراد فى سلاح الجو.

وإلى أن يجئ التقرير النهائى عن نتيجة البحث، استدعى

موشيه (موشى) إلى الاستخبارات العسكرية، حيث طلب منه، كيهودى، ألا يفصح لزوجته عن أيه أسرار عسكرية تتصل بعمله الجديد فى سلاح الجو. ذلك لأن موشيه كان قد أخضع لتدريبات عسكرية مكثفة تتصل بالاستطلاع الجوى، وبعد نجاحه تقلد رتبة نقيب طيار.

وفى آخر يناير ١٩٧٣ تقرر تجربته فى مهمة رسمية هى الأولى بالنسبة له، حيث تلقى الأوامر فى الدقائق الأخيرة قبل الطيران، حتى انه لم يتمكن من الاتصال بزوجته ، وطار بطائرته سكاى هوك باتجاه الجبهة السورية، فأسقطه السوريون فى أول طلعة استطلاع له، واعتبر مفقودا منذ تلك اللحظة لأن سوريا لم تعلن عن أسر الطيار الإسرائيلى كالعادة لكنها أعلنت أن الطائرة انفجرت فى الجو و قائدها بداخلها.

ذهب عقل آنى موشيه ولأيام ظلت تصرخ لا تصدق. نقلت إلى عيادة كوبات حوليم هستدروت فى ريشون لتسيون للأعصاب، لتخرج بعد شهر ونصف متشككة فى البيان السورى، لأن قدرات زوجها عالية جدا، يراودها الشك فى أنه مازال حيا، ومتخفيا فى إحدى المغارات الجبلية.

مجنونة تلك المرأة الملتاعة التى لفظتها أرجوحة الثمالة إلى جب الهاوية، فدوت صرخاتها تتردد فى الأعماق لهفى إلى الضياء والأمان .. فيبث الصدى فى شقوقه ألم الإنسان وظلمه لنفسه.

لعنت «آنى» العرب الذى هدموا حياتها، وتمنت لو أنها تستطيع الانتقام. فهى التى دفعته للهجرة إلى إسرائيل، وهى التى قذفت به أيضاً إلى مصير مجهول .. مماثل لمصيرها.

فها هى وحيدة بين أناس لا تعرفهم، بل تجهل لغتهم العبرية وعاداتهم. وقبلما يحطمها الانتظار، تقدمت بطلب إلى السلطات للسماح لها بالسفر إلى بيروت ودمشق لتقصى أخبار زوجها. وطارت بجواز سفرها النمساوى إلى فيينا وهناك أخرجت جواز سفرها الأردنى وطارت على أول رحلة إلى بيروت.

وفى شارع الحمراء - أشهر شوارع لبنان - نزلت بأحد الفنادق وتعرفت على سيدة لبنانية - أردنية الأصل تدعى خديجة زهران، تدير محلاً للملابس الجاهزة، دلتها على شقة صغيرة للإيجار انطلقت منها للبحث عن زوجها، وتسقط أخباره من الفلسطينيين ما بين سوريا ولبنان.

فشلت آنى فى الوصول إلى ما يطمئنها، وأصيبت بحالة يأس

أخـذت تنحـر فـى عقلها لتقـترب بـها إلى مرحلـة الجنـون. تخنقـها عبرات الأسى والوحدة وفقدان الحبيب.

يا لها من بائسة ملتاعة.. خسـرت الديـن والدنيـا .. وتمنـت لـو أنها باعت أكثر مما باعته فـى سـبيل عـودة موشـيه إليـها .. ولكـن هيهات.

أفاقت مـن النـوم على اتصال تليفونـى مـن فيينـا، فطـارت إلى النمسا لعل أخبـارا سـارة تنتظرهـا، لكـن ثلاثـة رجـال كـانوا بانتظارها، عـرفت منهم أنهم ضباط فى جيش الدفاع الإسرائيلى، مهمتـهم إنـهاء إجـراءات الإرث الخاصـة بـها، دون مشـاكل مـع أهـل زوجها أو الجهات الرسمية فى النمسا .. أو فى إسرائيل.

كان ميراثها وحدها مع التعويض يقارب النصـف مليـون دولار، مع شقة رائعة فى ريشون لتسـيون، وضمانـات حمايـة وأمـن فـوق العادة. فقط ـ كـان عليـها أن تتعـاون معـهم وتنفـذ مـا سـيطلبونه منها .

هى أيضـاً .. لم تكـن بحاجـة إلى كـل هـذا التخطيـط والتمويـه والمحـاورة لجرهـا إلى عـش الجاسوسـية .. والعمـل مـع الموسـاد للتجسس على وطنها. ذلك لأنها كانت على استعداد لعمل أى شئ..

فهى غارقة فى الضعف .. والوحدة .. واليأس .. والضياع .. والخوف. لقد نسيت وطنها وباعت عروبتها .. ودينها . فعلام تبك عيونها؟

لقد استغلت الموساد الموقف بشكل جيد، فآنى داوود التى تحمل الجنسية الأردنية إلى جانب النمساوية والإسرائيلية، جاءت التحريات السرية لتؤكد صدق ما قالته بالضبط . هى إذن امرأة احبت وباعت كل شئ فى سبيل الحب.. وبسبب هذا الحب تم استثمار حقدها على الغرب لإطلاقها للتجسس عليهم، خاصة وأنها تحتفظ بجواز سفرها الأردنى الذى ستدخل به إلى لبنان وسوريا.

فى مصيدة الجاسوسية

لم تكن آنى داود منذ أقامت فى النمسا تعر الشرف اهتماماً، فقد خلعت ثوب الشرق الثقيل، واستبدلته بغلالة الغرب عن طوع ورغبة. نازفة دماءها العربية، وعقيدتها، فخانت .

وطالما هى كذلك .. فلا مانع من استكمال مشوارها حتى النهاية.

استجابت للضباط الثلاثة الذين تلاعبوا بأعصابها، وأسكروها بأحاديث ملأى كراهية للعرب، واثقة بأن لا شئ يجدى بعدما عزفت الحياة عن إسعادها ..

لم تأخذهم الدهشة أمام امرأة عربية نزفت عروبتها، فالجاسوسية لا تعترف بوطن .. ولا تستجيب لنداءات الضمير.

أقاموا لها دورة تدريبية مكثفة لمدة شهر وأربعة أيام فى فيينا، تعلمت خلالها أساليب التجسس المختلفة من تصوير .. وتشفير .. وتلقط الأخبار .. وكيفية الالتزام بالحس الأمنى .. والتمييز بين الأسلحة . دربوها أيضاً على تحميض الأفلام والهرب من المراقبة،

وكيف تستخدم المسدس. واستقدموا لها من إسرائيل خبيرا فى تقوية الذاكرة، وتخزين المعلومات والأرقام دون نسيانها.

فكانوا يعرضون عليها مشهدا من فيلم تسجيلى ، ويطلبون منها الإجابة:

ـ كم طبقا كان على المائدة؟ ما لون ستائر الشباك . كم لمبة بالنجفة كانت مضاءة ؟ كم عدد درجات السلم؟

أجادت آنى داود دورتها الأولى فى التجسس . وأصبحت أكثر إصرارا على الانتقام والتحدى، وعمل المستحيل للثأر لزوجها الذى فقد بالقرب من الجولان ـ والجنوب اللبنانى.

إنها تريد تأكيد حبها لموشيه، من خلال حبها للعمل مع إسرائيل ضد العرب . حيث لم تعد تزعجها كثيرا هلاوس الليل عندما تحلم به يسعى فى الجبال ممزق الثياب، كث اللحية، غائر العينين، يناديها أن تنقذه. وكثيرا ما كانت ترى جسده ممزقا فى قطع صغيرة، تلتهمها فئران الخلاء.

وغادرت آنى داود فيينا إلى بيروت.. لا للبحث عن زوجها فقط ، وإنما للانتقام له أيضا بتقصى أخبار رجال المنظمات الفلسطينية، ورجال المقاومة الذين يؤرقون أمن إسرائيل، ويحيلون ليلها إلى

نهار لشدة القصف .. والتفجيرات الفدائية.

كانت مكلفة أيضاً بالتحرى عن مراكز إقامة قادة المقاومة، والطرق التى يسلكها الفدائيون للتسلل إلى الأرض المحتلة. أيضاً ، التغلغل داخلهم لمعرفة أعداد الفدائيين، وتدريبهم ، وتسليحهم ومدى مهارتهم فى التخفى والمناورة، ومخازن الأسلحة والإعاشة.

فى بيروت .. استأجرت آنى داوود شقة رائعة بإحدى البنايات الأنيقة الواقعة على كورنيش المزرعة، وطلبت من صديقتها خديجة زهران مساعدتها فى التعرف على موظف بإدارة التليفونات ينهى لها مشكلة تركيب التليفون بشقتها. لتبدأ أغرب قصة جاسوسة عربية لإسرائيل.

ماذا فعلت آنى داود فى بيروت؟

وماذا حدث لها؟

وكيف كانت النهاية؟

وليمة فسق

غادرت آنى موشيه فيينا إلى بيروت، واستأجرت شقة بإحدى بنايات الروشة، أجمل مناطق بيروت، حيث ترى الشاطئ المتعرج برماله البيضاء التى يتقاذفها البحر على ضفاف اليابسة وهو المشهد الذى وصفه الشاعر الفرنسى «لامارتين» بقوله: «إن الطبيعة هنا .. بل كل شئ حولى أسمى من الخيال، لقد حلمت بجنة عدن .. لا .. بل لقد رأيتها» .

من شرفة شقتها كان أمامها البحر اللانهائى، وبقعتان من الصخور القاسية، هما صخور الروشة الشهيرة التى تكسر تلك اللوحة الناعمة وتزيدها جمالاً . وعلى بعد خطوات منها يقع مقهى «الدولشى فيتا» أشهر مقاه بيروت، حيث المكان المفضل للفنانين والمثقفين والجواسيس والسياح.

كان الشىء الوحيد الذى يضايقها، هو انقطاع الحرارة عن التليفون. لذلك زارت صديقتها الأردنية خديجة زهران، وطلبت منها المساعدة.

فى الحال اتصلت خديجة بمانويل عساف موظف التليفونات،

الذى ذهب بنفسه إلى أمينة فى اليوم التالى، ليؤكد لها أن المنطقة تعانى من بعض الأعطال بسبب تجديدات بالشبكة، ووعدها بأنه سيسعى فى القريب للتوصل إلى حل.

منحته خمسين ليرة ليهتم بالأمر، ولكى لا ينسى .. منحته بعض التنازلات أيضا إذ وجدت فيه صيدا سهلا تستطيع من خلاله التوصل لتليفونات وعناوين القادة الفلسطينيين.

ولأنها لم تندم عندما باعت الدين والوطن والأهل. فلم تجد غضاضة وهى تبيع نفسها لمانويل، الذى خر مستسلماً أمام امرأة شابة بعينيها نداءات جوع ، وتفوح من جسدها رائحة الأنوثة والرغبة.

لقد شلت إرادته وأذهبت بعريها عقله، وحاصرته فلم يعد يملك أية حيلة للفرار. فأقبل عليها فى شراهة ونهم، باعتقاده أنه أوقع بامرأة أجنبية ظمأى. بينما تصرفت هى كجاسوسة محترفة، بدت بين أحضانه فى أقصى حالات الضعف، لكنها كانت أبعد ما تكون عن الإحساس بالمتعة. هكذا تفعل النساء فى عالم المخابرات والجاسوسية .. فالجنس عندهن وسيلة فقط لا هدف.

صدمت آنى / أمينة بشدة عندما تبين لها أن مانويل لا يملك

ما تريده، فهو مجرد موظف صغير لا يملك قرارا، فلم يتملكها الإحساس بالندم أو الحسرة، بل أقنعت نفسها بأنها فشلت فى تجربة أولى.. وحتما ستنجح فى مرات مقبلة.

بيد أن عميلة الموساد كانت ساذجة وواهمة. فمانويل عساف ورئيسة مارون الحايك على علاقة حميمة، حتى أنهما يشتركان معاً فى الكثير من المغامرات النسائية من جراء رداءة شبكة تليفونات بيروت فى ذلك الوقت.

وإذا كان مانويل اقل ميلاً للعلاقات النسائية خارج حدود الزوجية، فقد كان مارون الحايك متعدد العلاقات النسائية، يسعى خلف نزواته ومغامراته منشغل بالتجسس على المحادثات التليفونية بين نساء المدينة، تستهويه لعبة المطاردة والبحث عن صيد جديد.

وبغريزة الأنثى التى لا تخيب، أيقنت آنى / أمينة ما بنفسه، واثقة من كنز معلوماته عن الزعماء الفلسطينيين فى بيروت. لذلك تركته يتناول معها وليمة فسق أتخمته، وأحاطت عقله بسياج من غباء .

وبينما الجسد المنهد ساكناً.. أجاب عن أسئلتها .. وأطلعها ـ بعد

عدة ولائم - على أرقام التليفونات السرية للمنظمات الفلسطينية، ولزعماء الجبهات الفلسطينية الأخرى التى تتخذ من بيروت مقرا لها، وكذا على عناوين إقامتهم بحى الريحانة الشهير.

وبواسطة صندوق بريد ميت، صبت آنى / أمينة كل ما تفوه به مارون فى خطاب من عدة صفحات، تسلمه عملاء الموساد فى بيروت. وتجيئها الأوامر بعد ذلك بالتحرك دون انتظار. فالمطلوب منها هو الحصول على القوائم السرية لرجال المخابرات الفلسطينية «رصد» فى أوربا وصفاتهم . ولن يتاح لها ذلك إلا من خلال منظمة التحرير الفلسطينية - مكتب ياسر عرفات شخصيا، أو مكتب رئيس جهاز المخابرات - على حسن سلامة - المطارد فى كل مكان فى العالم، والذى أطلقت عليه جولدا مائير لقب «الأمير الأحمر» لأنه بطل عملية ميونيخ التى قتل فيها أحد عشر إسرائيليا[1] .

بدت المهمة صعبة جدا أمام أمينة المفتى .. بل شبه مستحيلة . فهى كالجاسوسة جديدة لازالت تجمع جرأتها ، ولا خبرة كافية لديها بأعمال التجسس . حتى أن مهمتها لا يستطيع القيام بها إلا

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الفدائى الأسطورة على حسن سلامة، انظر كتابنا : إيريكا ماريا تشامبرز ، ضمن هذه السلسلة .

عميل مدرب ، جرئ .. خبير بكل فنون الحروب السرية .. يمتاز بأعصاب من فولاذ.

لكنها قلبت الأمر فى رأسها، وقنعت بأن المخابرات الإسرائيلية رأت أنها الأجدر لكونها عربية من الأردن.. وطبيبة فى ذات الوقت. ميزتان مهمتان هما مفتاح دخولها إلى الحصن الفلسطينى المنيع.

الأمير الأحمر

كانت الحياة ببيروت فى ذلك الوقت من يونيو ١٩٧٣ لها مذاق رائع ، تماماً كالأطعمة المتنوعة من كل أنحاء الدنيا.

ومع عطلة نهاية الأسبوع .. تزهو أجمل فتيات لبنان داخل الفنادق والأندية، يرتدين البكينى اللاصق، ويتلوين بتدلله تحت أشعة الشمس حول حمامات السباحة، أو يلعبن الجولف والتنس، ويرقصن الديسكو ويشتركن فى مسابقات الجمال..

وسط جو كهذا يموج بالمرح والحسن والشباب، اعتاد على حسن سلامة أن يعيش بعض أوقاته، يرافقه أحياناً فتحى

عرفات[1] «شقيق ياسر عرفات » رئيس جمعية الهلال الأحمر الفلسطينية. ولما اختيرت جورجينا رزق ملكة لجمال الكون، اختطفها سلامة وتزوجها فى حدث أكثر من رائع، مما جعله مطارد دائما من فتيات لبنان، لكنه كان مشبعا بكل جمال الدنيا بين يديه.

ولأن المخابرات الإسرائيلية كانت تجهل صورته أو ملامحه، وفشلت كثيرا فى اقتفاء أثره لاغتياله، خاصة بعد عملية ميونيخ بالذات، فقد كان المطلوب من آنى / أمينة التسلل إلى مخبئة، والحصول على قوائم بأسماء قيادات وعملاء المخابرات الفلسطينية فى أوروبا.

فقد كان على حسن سلامة - الأمير الأحمر - كما أطلقت عليه جولدا مائير، أحد مساعدى عرفات والمختص بحراسته، ثم أوكل إليه عرفات مباشرة بمهمة جديدة، وهى رئيس الأمن والمخابرات التابعة لمنظمة فتح وقوات الحرس الداخلى، التى يطلق عليها القوة ١٧ ، وهى القوة التى أطلق عليها عرفات اسم «المنتمين إلى

---

(١) مات بالقاهرة فى نوفمبر ٢٠٠٤ بعد وفاة شقيقه الرئيسى ياسر عرفات بأيام، وكان فى غيبوبة كاملة حتى انه لم يكن يدرى أن أبو عمار نقل إلى باريس للعلاج أو أنه مات. وكان فتحى عرفات يشغل حزمة طويلة من المناصب لا يباريه فيها أحد.

قيصر روما القديمة »[1].

فالحصول على القوائم السرية للقيادات الفلسطينية والأعضاء البارزين فى المنظمات فى أوروبا، أمر هام جدا ومطلوب لتفكيك أوصال القيادة فى بيروت، وعزلها عن الآخرين فى كل قارات العالم، وفى هذا إجابة عن سؤال:

لماذا السطو على أوراقه بدلا من اغتياله؟

هكذا كانت مهمة آنى / أمينة فى بيروت .. مهمة حساسة للغاية .. لو استطاعت القيام بها فكل ميادين إسرائيل لا تكفى لوضع تماثيلها.

وفى لقاء حميم بشقتها مع مارون الحايك، سألته عن عرفات وأبو إياد والغمرى وغيرهم، فأجاب بأنه يعرفهم جيدا، ولأيام طويلة ظلت تمنحه جسدها، وتنفق عليه بسخاء عندما أكد لها أنه يعرف على حسن سلامة، بل والفندق الفندق الذى يرتاده. فاصطحبته مرارا لفندق كورال بيتش«شاطئ المرجان» ليدلها عليه. لكن الأيام تمر والحايك يستمتع بجسدها وبأموالها دون أن

(١) كما يقول وليم ديشيل مؤلف كتاب « إيريكا عميلة الموساد» ترجمة د. رمضان ابو العلا، ود. عبد العظيم حسنة.

يظهر لسلامة آثرا.

تملكها يأس قائم لفشلها، وفكرت كثيرا فى مغادرة بيروت إلى تل أبيب تتوجها الخيبة. لكن طرأت بخيالها فكرة جديدة عملت على تنفيذها بأسرع وقت.

إذ انتقلت إلى شقة أخرى بكورنيش المزرعة - وهى منطقة شعبية يرتادها التجار من قاطنى المخيمات الفلسطينية فى بيروت . وللوهلة الأولى ..أحست بتفاؤل كبير بعدما تعرفت على ممرضة فلسطينية ، تدعى شميسة، تعمل بعيادة «صامد» [(١)] بمخيم صبرا.

فقدمتها شميسة إلى مدير العيادة، الذى أوضح لها أن العديد من الأطباء من كل دول العالم، يشاركون فى علاج الفلسطينيين كمتطوعين. فعرضت عليه خدماتها التطوعية، وأطلعته على شهادتها «المزورة» ، فطلب منها الانتظار لعدة أيام ريثما يخبر المسئولين.

---

(١) انشئت مؤسسة صامد عام ١٩٦٩ وهى تقدم الخدمات المتنوعة من المستلزمات المعيشية وما يتصل بالصحة والعلاج، وتنتج المنسوجات والسلع الاستهلاكية والمصنوعات الجلدية والخشبية والنسيج والزجاج والسيراميك

هؤلاء المتطوعون فى شتى المؤسسات الفلسطينية، يقابلهم ياسر عرفات، ويستعرض معهم المخيمات وملاجئ الأيتام، والمؤسسات الصحية والهلال الأحمر، وأقسام الأجهزة التعويضية والعلاج الطبيعى والمعامل المركزية وبنك الدم. من هنا.. صادفت آنى / أمينة فرصة ذهبية للامتزاج بالفلسطينيين، وبدأت مرحلة العمل التجسسى الأوسع.

رعشة اللقاء

ومساء ٢٢ يوليو ١٩٧٣ دق جرس التليفون بشقة آنى داوود .

كان على الطرف الآخر مارون الحايك الذى أسر إليها ببضع كلمات ألجمتها، فوضعت السماعة فى توتر وأسرعت تفتح التليفزيون .

صدمها المذيع وهو يعلن نبأ اعتقال ستة من رجال الموساد فى أوسلو، بينهم امرأة، بتهمة قتل جرسون مغربى بالرصاص فى ليليهامر، ظنوا أنه الفدائى الفلسطينى على حسن سلامة. «الأمير الأحمر».

اعترف القتلة بأنهم ينتمون إلى جهاز الموساد، ويشكلون فيما

بينهم فريقا للقتل اسمه KIDON «الرمـح» وجـاءوا خصيصا من إسرائيل لتتعقب سلامة واغتياله.

ارتجـت آنـى داوود مـن اعماقـها وتملكـها الهلـع علـى مصيرهـا ، وتساءلت:

ـ لماذا يتعقبـون سـلامة لاغتيالـه، بينمـا طلبـوا منـها خـلاف ذلك؟

كانت اللعبة أكبر بكثير من تفكيرها. فأمور السياسة والمخابرات تتشكل وفقا لمعايير أخرى.. وحسابات معقدة.

ولأول مرة منذ فقدت زوجها موشيه، تشعر برغبة أكيـدة فـى الاستمتاع بالحياة .. وحاجتها إلى مذاقـات النشـوة التـى افتقدتـها. فاتصلت بمارون ، وذهبت معه فى اليـوم التـالى إلى فنـدق الكـورال بيتشى، متلهفة إلى الالتقاء بسلامة.

وفـى الفنـدق أخذتـها المفاجـأة عنـدمـا أشـار صديقـها ناحيـة حوض السباحة قائلاً لها:

ـ انظرى.. إنه على حسن سلامة.

كان حمام السباحة كبيرا، على شكل حدوة الحصان ، يحيط بـه مبنـى أبيـض اللـون مكـون مـن ثلاثـة طوابـق، تطـل كـل غرفـه

الخمس والتسعين على الحمام، ويفضل سلامة هذا الفندق لأنه مؤمن جيدا ويكشف المخاطر الأمنية التى قد يتعرض لها. ومن الأمور العادية أن توجد ثلاث سيارات عسكرية حول الفندق لحماية الأمير الأحمر. حيث يقوم حراسه بتأمين موقف السيارات ومداخل الفندق وحدائقه.

أما فى الحجرة المطلة على حمام السباحة وهى بالدور الأرضى، فيكون سلامة دائما بمفرده، يحمل مسدسه الأوتوماتيكى المحشو، ولا يتغافل عنه أبدا.

كان سلامة فى ذلك الوقت فى الثالثة والثلاثين من عمره، رياضى.. وسيم.. أنيق.. يصادق «جورجينا رزق» ملكة جمال الكون. وهى فتاة عمرها واحد وعشرون عاما، تنحدر من مؤسسة المال المسيحية فى بيروت لأب لبنانى وأم مجرية. انتخبت فى السادسة عشرة ملكة جمال لبنان. وبعدها بعامين ملكة جمال العالم. وكانت الوحيدة، من بلاد العرب التى دخلت «ميامى بيتش» .

وهكذا أصبحت جورجينا أشهر امرأة فى العالم، يحلم بها كل الرجال. وكان الجميع يريد التعرف على الفتاة ذات الشعر الأسود الطويل، والعيون الخضراء، والفم الكبير، والجسد الأسطورى.

حتى «جيمى كارتر» حاكم ولاية جورجينا وقبل أن يصبح رئيسا.. تحققت أمنيته وظهرت صورة له مع ملكة الكون وهى ترتدى فستان السهرة الأسود العارى الأكتاف والصدر.

لقد انشغلت جورجينا رزق بالفتى الوسيم مفتول العضلات ذو الجسد الرياضى المشوق .. وانشغل بها هو أيضاً .. وبرغم زواجهما إلا أنه ، كما تردد عنه ، لم يمانع من اختبار رجولته التى لا تقاوم مع نساء أخريات.

وها هى آنى داوود تقف أمامه .. وجها لوجه ، بشكل لم يكن متوقعاً.

وحيث رتبت الموائد حول الحوض تحت المظلات الشمسية، جلست تراقب سلامة بحذر وهو يستحم، وعلى مقربة منه وقف رجلان من حراسه تنتفخ أجنابهما بالسلاح.

رسمت آنى صورته فى خيالها. وداومت على زيارة الكورال بيتش مرتان أسبوعيان بشكل منتظم .. وكانت كثيرا ما تلتقى بسلامة الذى اعتاد رؤيتها .. وابتسامتها .. وجمالها البسيط الهادئ.

وذات مرة . وصل سلامة إلى الفندق .. واتجه إلى الداخل حيث

حجرته، لكنه عرج فجأة إلى مائدة أمينة، وانحنى على ظهر المقعد المواجه فى أدب وسألها عدة أسئلة. ثم سحب المقعد وجلس قبالها لأكثر من نصف الساعة.

تقول أمينة فى مذكراتها عن هذا الحدث الخطير فى حياتها :

ـ (فى ذلك اليوم الحار من سبتمبر ١٩٧٣ تشوقت لترطيب جسدى في حوض السباحة بكورال بيتش .. وبينما كنت أرفع كوب الماء البارد إلى فمى، رأيته أمامى .. إنه سلامة.

سرت رعشة متدفقة بأوصالى عندما جاء إلى مائدتى محييا .. وبدأ بأن عرفنى بنفسه على أنه رجل أعمال فلسطينى، ثم سألنى عن نفسى ، وجلس إلى مائدتى بعدما اكتشف أننى طبيبة أردنية متطوعة.

ومنذ ذلك اليوم لازلت أذكر رعشة اللقاء .. وحديثه الرائع الذى جذبنى إليه بكل كيانى ومشاعرى).

فـى الدولشى فـيتا

بواسطة على سـلامة، انفتحـت أمـام «آنـى داوود» كـل الأبـواب الموصدة. إذ أصبحـت محـل ثقـة الفلسـطينيين، وعلاقتـها بالقـادة طالت ياسر عرفات نفسه.

لقد استعادت حيويتها وثقتها بنفسها، وانخرطـت فـى صفـوف المقاومـة تضمـد الجـروح، وتبـث فيـهم الحمـاس والاسـتماتة فـى الكفاح، وكانت زيارتها المتعددة لمخيمات اللاجئـين فـى الجنـوب[1]، تصحبها فيها مجموعة طبية من المتطوعين، تذكرة أمـان لدخـول كل المناطق المحظورة.

فكانت عيونها كاميرات تلتقط الصور وتختزنها ، وآذانها كـانت أجهزة تسجيل متطورة ، وعقلها .. آلة جبـارة مـن القـوة بحيـث لا يـرهقها تزاحم المعلومات .. أو رسم الخرائـط بدقـة متناهيـة .. أو حفـظ مئـات الأسمـاء والمواقـع .. وتذكـر أنـواع الأسـلحة وأسـاليب التدريب.

---

(١) فى العادة كانت دائمة الزيارة لمخيمات الرشيدية والبرج الشمالى والبص.

أدمنت «آنى داوود» استجلاء أوضاع الفلسطينيين، مستغلة ثقتهم بها فى إرسال المعلومات عنهم يوما بيوم إلى الموساد. كان المطلوب منها هو كتابة تقارير وافية، ووضعها فى صندوق البريد «الميت»[١] .

تقول فى مذكراتها :

ـ (أذكر أننى فى إحدى المرات .. كنت أحمل وثائق سرية وتقارير خطيرة .. وذهبت لمقابلة سلامة بالفندق. كانت حقيبتى مكتنزة بأربعة وعشرين ورقة من أوراق البلوك نوت الكبيرة ، عندما فاجأنى سلامة بمجيئه مبكرا قبلما أتمكن من الدخول بها إلى الحمام[٢] . وكانت ورقة واحدة منها فقط، كفيلة بأن يفرغ سلامة رصاصات مسدسه فى صدرى.

لقد كنت أجلس إليه بأعصاب من فولاذ. وعلى مقربة منى كانت زميلتى وتحمل وثيقة سفر قبرصية تكاد تموت هلعا) .

هكذا عملت آنى داوود بحرية مطلقة فى التجسس على القادة

---

(١) صندوق البريد الميت قد يكون سيفون حمام، أو شق فى حائط أو شجرة، وقد يكون شيئاً لا يخطر ببال، وهو اصطلاح مخابراتى لمكان ما يتم استخدامه كمخبأ لوضع الرسائل والتقارير والخرائط والأفلام حتى يجئ شخص آخر لأخذها.

(٢) استخدمت آنى داوود دورة مياه الطابق الأرضى فى فندق الورال بيتش كصندوق بريد ميت .!!

الفلسطينيين ورجال المقاومة. ولم تدخر وسعا فى البحث عن كل ما يهم الإسرائيليين فى لبنان.

لقد زارت ياسر عرفات بمكتبه ثلاث مرات، لتطلعه بنفسها على العديد من السلبيات التى واجهتها فى الجنوب اللبنانى، واهتم الزعيم بمقترحاتها وقد أفرد لها مساحة طويلة من الوقت للاستمتاع إليها.

لم يكتفى عرفات بذلك، إنما أوصى فى الحال بالتحقق مما قالته، وتلافى الأخطاء التى تعوق حركة المقاومة فى الجنوب.. فتقربت أمينة بذلك من الزعيم الفلسطينى، وأصبح مكتبه مفتوحا دائماً أمامها.

وحدث أن كانت آنى داوود تقرأ إحدى المجلات فى مقهى «الدولشى فيتا» ، حيث شاطئ الروشة المتعرج الخيالى، حينما توقفت فجأة أمام المقهى سيارة سيارة جيب عسكرية، ونزل منها ثلاثة رجال فلسطينيين، اتجهوا مسرعين إلى حيث تجلس وتشرب فنجانا من القهوة.

وقال أحدهم بحسم:

ـ نعرف أنك هنا .. وعليك مرافقتنا الآن.

أسقط فى يد أمينة، ولم تقدر على الوقوف .. بينما الرجال الثلاثة ترسل عيونهم سهاما من توتر.

ترى ما الأمر؟

هل اكتشفوا حقيقتها كجاسوسة؟

هل هى النهاية إذن؟

زيارة إلى المعبد

كانت السيارة العسكرية تخترق شوارع بيروت بسرعة مذهلة، بينما كانت آنى داوود متكورة إلى يمين السائق، تنتفض عروقها رعباً، ويرتعد بدنها كله لهول النهاية.

لم تسأل مرافقيها عن وجهتهم، أو لنقل أنها لم تجرؤ على ذلك ، فقد انحصر تفكيرها فى تحين الفرصة المناسبة للبحث عن كبسولة سم السيانيد التى خبأتها بين خصلات شعرها بواسطة شريط لاصق، فحتما سيكتشف الجنود المدججين بالسلاح ذلك، وعندها سيضطرون إلى تكبيلها بالسلاسل الحديدية، فتضيع منها فرصة الانتحار الوحيدة.

انتبهت «آنى» قليلاً وتعجبت، فالسيارة عرجت بها فجأة إلى

طريق مخيم شاتيلا.

ترى .. هل أقام الفلسطينيون معتقلات الخونة بداخل المخيمات؟

هكذا تساءلت فى نفسها.

وقبلما تسعفها الإجابة انطلق صوت أحد الجنود من خلفها، يحث السائق على أن يزيد من سرعته، فالجرحى الذين جئ بهم من الجنوب كثيرون.

وعند هذه العبارة أفاقت «آنى» تماماً، وسألت الجندى عن هؤلاء الجرحى، فأجابها بأنهم ضحايا إحدى الغارات الإسرائيلية على معسكر فلسطينى، بالقرب من مفرق مخيم عين الحلوة - السيروب فى صيدا. ونظراً للعجز الكبير فى الأطباء المتطوعين دلهم على مكانها مكتب المخابرات «الذى يترأسه على حسن سلامة». فاستجمعت أمينة شتات عقلها فى صرخة مدوية:

- غبى.. كلكم أغبياء وتيوس. أهكذا تستدعون ضيوفكم؟

وبينما ينطلق صراخها بالسباب الغاضب، وبأنها ستشكوهم لعرفات شخصياً. كان الجنود يعتذرون لها، ويلحون فى ذلك أيما إلحاح.

تلك الحادثة .. لم تسقط أبدا من ذاكرة آنى . إذ زرعت لديها شعورا دائماً بالخوف، يذكرها بالنهاية المرتقبة فى بيروت، إذا ما اغترت بنفسها وتعاظمت لديها الثقة فى قدراتها التجسسية، بين أناس يشكون فى كل غريب وافد.

لذلك .. كان عليها أن تغسل الخوف الملتصق بها، وتتعاطى جرعات كبيرة من الهدوء، والتعلم.. والحنكة. وما كان يتأتى ذلك إلا فى إسرائيل.

هكذا انهت عملها فى مستشفى مخيم شاتيلا، واستأذنت فى السفر إلى فيينا لتسجيل اسمها لدى إحدى جمعيات الطفولة الدولية. وهناك .. فى شقتها الخاوية الجدران الصماء والفراش البارد، أهاجتها الذكريات فضربت عمق وعيها، وأخذت تطوف بالغرف تتحسس الأرائك والأدراج وأحذية موشيه القديمة، وتقلب صفحات الألبومات وأنفاسها تتلاحق فى اضطراب وشجن.

وبكت كثيرا بين أحضان سارة بيراد شقيقة زوجها المفقود، وسافرت معها إلى حيث يقيم والدا موشيه فى وستندورف، يجرعان الأسى ويعتصرهما المرار.

وهناك .. تخلت آنى عن أهم قواعد الجاسوسية، وهى السرية

المطلقة، وتفاخرت أمامهم جميعا بأنها تثأر لموشيه كل يوم من القتلة العرب، وتنتقم منهم دونما رحمة أو شفقة. وقصت عليهم الكثير من أسرار عملياتها في بيروت، وما كانت تعلم أن سارة المنخرطة في جماعات الهيبيز، تصادق شاباً فلسطينياً قتل اليهود والداه، فهام يتيماً .. بائساً .. متسكعاً .. يجوب مدن أوروبا بلا هدف .. أو وطن.

وبجواز سفرها الإسرائيلي ، طارت آني داوود إلى تل أبيب تحمل جرعة هائلة من الغضب .. تدفعها بقوة لأن تستمر.. وتنطلق بكل كيانها لتثأر.

لقد جاء في مذكراتها عن رحلتها هذه إلى فيينا:

اليوم ١٨ سبتمبر ١٩٧٣

ـ (زرت شقتي بفيينا وأنا بطريقي لإسرائيل، كان جسدي يرتعش وأنا أصعد الدرج، وفشلت لمرات في معالجة الباب. وعندما أضاءت الأنوار واجهتني صورة موشيه الكبيرة باللباس العسكري. فمسحت زجاج الإطار وقبلته، وعلقت باقة من زهور البانسيه التي يحبها إلى جواره.

لقد خيل إلى أن ابتسامته الرائعة تفيض بالعتاب .. بل هي

كانت كذلك . فتذكرت ... يا لغبائى .. كيف دفعته بنفسى إلى نهاية، عندما شجعته على الهجرة لإسرائيل.

حاولت أن أستعيد ابتسامته فلم أنجح. لحظتها .. ركعت على ركبتى أمامه وأجهشت بالبكاء. ورجوته بألا يلومنى أو يغضب منى. فأنا أنتقم له .. وآخذ بثأره. ولن أهدأ حتى أشهد بنفسى بحور الدم المراق تعلوها الأشلاء الممزقة. وأرى ألف زوجة عربية تبكى زوجها، وألف أم فقدت ابنها، وألف شاب بلا أطراف.

عندئذ فقط .. لمحت ابتسامته وقد ارتسمت من جديد، وأحسست كما لو أن يداه كانتا تحيطان بى..)!!

يا للخائنة المحشوة حقدا، لم تكفها كل تلك الخيانات للدين والوطن، فطفقت تبحث عن المزيد والمزيد، الذى يطفئ نيران الغضب المشتعلة بعروقها.

ولذلك .. كانت رحلتها إلى إسرائيل رحلة استجمام مؤقتة لتستمد الهدوء .. والتعلم .. والخبرة .. لتعود إلى بيروت ثانية وقد أجادت فنون التجسس .. والانتقام.

التقاء الخــونة

لم يكن لها فى إسرائيل من أصدقاء، سوى نفر قليل مــن رجـال الاسـتخبارات الإسـرائيلية الذيـن فوجئـوا بـها وقـد علتـها مسـحة قاتمة من الإرهاق. وبعد مـا قصت مـا وقـع لها فـى بـيروت طلبـوا منها أن تستريح بشقتها ريثما تهدأ. ولكى لا تزيدها الوحـدة أرقـاً، صاحبتها طبيبة نفسية يهودية من أصل عراقى تدعى زهيرة.

وفى شقتها بمدينة ريشـون لتسيون - «أول مستعمرة يهوديـة انشئت على أرض فلسطين عام ١٨٨٢» - عملت زهيرة على تهيئتـها للانـدمـاج بـالمجتمع الإسـرائيلى، تمـهيدا لاسـتقرارها النـهائى، بمـا يعنى الاكتفاء بخدماتـها السـابقة كعميلـة فـى الموسـاد. وكـان علـى زهيرة ألا تفاتحها فى أمر إنهاء خدماتها، فهى ليست منوطة بذلك. ولكن تنحصر مهمتها فى إذابة جدران العزلة النفسية التى تحيط بالعميلـة بدمجها شـيئاً فشـيئاً باليـهود العـرب، وخلـق محيـط اجتماعى موسع من حولها.

لقد حدثتـها زهـيرة عـن المـهاجرين العـرب مـن اليـهود، الذيـن قدمـوا مـن شـتى الأقطـار المجاورة، وكيـف استسـاغوا العيـش فـى

المجتمع الجديد المتحرر.

وحدثتها كذلك عن بعض «الخونة» من العرب الذين فروا إلى إسرائيل طلباً للحرية والأمن. ومن بين الذين ذكرتهم، النقيب طيار منير روفة[1] - الكاثوليكى العراقى - الذى فر لإسرائيل بطائرته الحربية. «حدث ذلك فى ١٦ أغسطس ١٩٦٦» . إذ هرب بطائرته الميج ٢١ مقابل مليون دولار، فى عملية مخابرتية اشتركت فيها الموساد مع الـ" C I A " .

وعندما أبدت «آنى داوود» رغبتها فى لقاء روفة[2]، عرضت زهيرة الأمر على رؤسائها فجاءتها الموافقة. وتم ترتيب اللقاء بمنزل روفة بين زوجته وأولاده.

كانت أمينة فى شوق بالغ للقاء الطيار العراقى الهارب، وليس لأنه عربى الأصل مثلها، بل لتسأله عما يجول بخاطرها من تساؤلات قد تفيدها معرفة إجابتها.

وبابتسامة عريضة بباب منزلهما، رحب منير وزوجته بالخائنة الجديدة .. وقاداها إلى الداخل.

---

(١) جاءت قصة الطيار العراقى الخائن فى كتابنا: (العملية 007 اغتيال الطيارين العراقيين الثلاثة ، وهروب اول طائرة حربية عربية لإسرائيل) .

(٢) يكتب أيضاً: «روفا»!

كان روفة فى ذلك الوقت فى الثامنة والثلاثين من عمره، أسمر.. مستطيل الوجه .. واسع العينين والجبهة .. غزته مقدمات الصلع.

أما زوجته « مريم» فكانت على مشارف العقد الرابع ، طويلة.. رشيقة القد..ذات شعر انسيابى طويل، وفم واسع.. فلجاء .. لها صوت خشن.

كانت مظاهر الثراء بادية جدا على المنزل وأهله. وبرغم ذلك جاءت مريم بالحلوى والشاى بنفسها.

ولما سألتها «آنى » عن الخادمة، أجابتها المضيفة بأن المجتمع الإسرائيلى ما يزال بحاجة إلى تطور. وينظر إلى المرأة التى تجلب خادمة نظرة اتهام بالبرجوازية. لذلك فهى تقوم بمهام المنزل بنفسها.

أما منير .. فقال لها إنه مر بحياة عصيبة فى البداية. حيث كان يجهل العبرية وبلا عمل أو أصدقاء.ويتابعه كظله رجلا أمن فى الشارع والبيت. ثم عمل لبعض الوقت بجيش الدفاع، والآن فهو يمتلك وكالة إعلانية كبيرة خاصة به اسمها «الأضواء» وبالعبرية:«الحانوكا» ، وتعمل معه مريم كمديرة لمكتبه

وللعلاقات العامة.

و سألته آنى السؤال الذى كان يشغلها :

- كيف يفشل طيار محترف فى القفز بالبراشوت إذا أصيبت طائرته فى الجو؟ .. وهل الطائرة السكاى هوك الأمريكية تتحول إلى مقبرة لقائدها قبلما تسقط..؟

كانت تريد إجابات محددة ومنطقية، فربما استمرت فى التعلق بأمل عودة زوجها موشيه، أو بنسيان الأمر نهائياً. فضباط الموساد كانت إجابتهم مبهمة ولا تحمل نفياً تاماً أو تأكيداً. وذلك ما كان يحيرها ويرهق عقلها.

فأفاض منير روفة فى الشروح .. وأوضح لها أن الطائرة سكاى هوك " Sky Hawk – 4H " اعتمد تصميمها على حماية الطيار، وهى مزودة بكرسى قاذف مزدوج، ويمكن إطلاقه من إرتفاع الصفر وبسرعة الصفر أيضاً.. وهو كرسى قاذف مطور من طراز «دوجلاس أسكاباك C3 – A» ، وكابينة القيادة مدرعة فى المقدمة والمؤخرة والجانب الأيسر، وسمك التدريع حوالى ١٨ مم.

وأكد روفا أيضاً، أن زوجها موشيه إما أصيب بصاروخ «سام ٦»، وفى هذه الحالة ربما يكون أسيرا لدى السوريين، أو أن صاروخا

طراز ATOLL ـ جو/ جو أصاب به السوريون كابينة قيادته الفقاعية فانفجرت به الطائرة فى الجو.

كانت إجابة روفة ـ الأكثر شروحاً ـ تعطى ذات الإجابة التى سمعتها من قبل. وبقى السؤال كما هو:

ـ هل موشيه بيراد ما يزال حياً فى قبضة السوريين؟ أم انفجرت بعده الطائرة فى الجو؟ .. وفى الحالة الأخيرة .. لابد أن يعثر السوريون على بعض من أشلاءه . ومن ثم يعلنوا الخبر.. وهو ما لم يحدث.!!

الأفعى الغاضبة

عادت «آنى» إلى شقتها أكثر قلقاً .. وغضباً .. يحفها الإصرار على البحث عن زوجها.

لكن صدمتها كانت قاسية جداً، عندما زارها مسئول بالموساد ، و بعد حديث طويل عن فدائيتها الشجاعة فاجأها بقوله:

ـ سيدتى .. بعد هذا العناء الكبير الذى تكبدته فى بيروت .. يرى رؤسائى فى الجهاز أنه من الواجب العمل على إراحتك .. وحمايتك . وجئت إليك لأعرض رغبتهم فى الوقوف على ما

تريدينه، ولأطلعك على العمل الجديد الذى ينتظرك، وهو لا شك عمل مثير ويتناسب مع ..

قاطعته «آنى» قائلة:

- أتقصد سيدى إنهاء عملى فى بيروت؟

و جاء رده أكثر حسماً:

ـ وفى الموساد سيدتى .. وسوف تحصلين على ...

لم تتركه أمينة يكمل جملته، إذ انطلقت بكل الغضب الكامن بأعماقها تقول:

- لن أقبل بذلك أبدا .. فأنا ما جئت لإسرائيل هذه المرة إلا لأننى اهتززت قليلاً فى بيروت أمام موقف استدعائى.

وأضافت:

- ثم .. لماذا هكذا تستغنون عن خدماتى لكم، وبمثل هذه السرعة؟! بالرغم من أننى فرصة ذهبية لا يجب أن تضيعوها. فأنا جئتكم بالكثير من أخبار المقاومة التى تهدد مستوطناتكم فى الشمال ، وأطلعتكم على أشياء كانت غامضة لكم، كل ذلك دون أن أقبض منكم شيئا لأننى لست بحاجة لنقود .

قاطعها:

- أرجو أن ..

ردت فى سرعة:

• دعنى أكمل من فضلك. هل تستطيع أن تؤكد لى أن أحد عملائكم جلس وتحدث مع على حسن سلامة؟

أو أن أحدهم وصف لك مبنى قيادة المنظمة الفلسطينية من الداخل؟ ..

أما أنا فقد دخلت لمكتب عرفات .. وألتقى بسلامة مرتان أسبوعيا ..

وبواسطة جسدى هذا - «رفعت عباءتها فبدت شبه عارية حتى لقرب صدرها» - جئتكم بالتليفونات السرية لكل القادة الفلسطينيين، ليتنصت جواسيسكم هناك عليها. وخلعت ثيابى لكل كلب نتن الرائحة فينتهك جسدى لأجلب لكم الأسرار .. والوثائق .. والمعلومات .. وفى النهاية تقولون لى ببساطة : شكرا..!!

كانت ترتجف بشدة من الغضب ، بينما لم تستطع منع دموعها من الانزلاق فى خطين حتى أسفل ذقنها.

قال رجل الموساد محاولاً تلطيف الجو:

ـ سيدة «آنى».. نحن ما فكرنا إلا بحمايتك .. وما كنا سنبخس عليك حقك .

كانت فى غاية التوتر النفسى .. وقد امتقع لونها .. واكفهر الوجه يغشاه اصفرارا وهى تقول:

● هل تستطيع أن تجيبنى لماذا أنا فى إسرائيل الآن؟

الأننى لا أجد مأوى بين أهلى ؟ أم لأننى أحببت يهوديا وتزوجته؟

.. لا أقول ذلك لأننى أحسست بالندم .. لا .. فأنا بعت الدنيا كلها من أجله .. بعت أهلى .. ودينى .. ووطنى .. لأكون معه. ولأنه مات .. أو ربما أسر .. فأنا لن أكف .. نعم .. لن أكف عن الثأر لزوجى. فلم تحرموننى من تحقيق رغبتى بالعمل لصالحكم؟ وهل أشكل عبئا ثقيلاً عليكم؟

قال نافيا:

ـ الأمر ليس كما تعتقدين سيدتى ..

أردفت «آنى» وصوتها كفيح الأفعى، ينفث الغضب والكراهية كالسم:

• أبلغ رؤسائك أيها الضابط بأننى لن أكف أبدا حتى لو أدى الأمر لأن أغادر إسرائيل إلى الأبد. وعندها قد أفكر .. وبعيدا عنكم .. بعملية انتحارية داخل مكتب عرفات شخصياً.

.. انزعج الرجل .. وأسرع إلى رؤسائه ينبئهم بالأمر .. مؤكدا لهجة الصدق والإصرار والغضب فى صوتها. لذلك كان لابد من إيجاد حل وإلا فهناك كارثة مؤكدة قد تقع بين لحظة وأخرى.

وفى الحال .. صدرت الأوامر بمنع آنى داوود من مغادرة البلاد بحرا وجوا.!!

التليفون المجهول

.. بشارع كيريا فى تل أبيب، اجتمع عدد من الضباط بمبنى الموساد، للوصول إلى قرار حاسم بشأن عودة «آنى داوود» إلى بيروت من جديد، أو الاكتفاء بخدماتها وإبقائها فى إسرائيل.

لقد قرأوا جميعا تقريرا وافيا عن العميلة الثائرة .. والتى

صنفت من الفئة «أ» ، وهذه الفئة من الجواسيس ينـدرج تحتـها كـل مـن يعملـون فـى البـلاد العربيـة بـدون أى غطـاء دبلوماسـى يحميهم .

ووصف التقرير أمينـة بأنـها تعـانى مـن اضطرابـات شـخصية، وتمتلك القدرة التى تمكنها من الانتقال مـن أحـد جوانـب الموقـف إلى جانب آخر ، وهو ما يعرف فى علم النفس باسم الاتجاه المجـرد Abstract Attitude ، وتتنامى لديها أعـراض الكآبـة نتيجـة لومـها الدائم لنفسها، وباعتبار أن ما حدث لزوجها كانت هى السبب فيه، وعندما تـزداد الأعـراض حـدة تصبـح أكـثر اكتئابـاً وتخوفـاً، ممـا ينمـى مشـاعر «اتـهام الـذات» - Self Condemnation - لديـها ، والمريـض فـى هـذه الحالـة فـى يـأس خطـير لأنـه مـهموم بالمـاضى، ويعتقد أن لا أمل البتة فى المستقبل بسبب الفعلة التى ارتكبها.

هذه المشاعر القلقة المحملة باليأس ، عادة مـا تعتصـر المريـض، وقد تقوى عنده نزعة الانتحار.

وأشـار التقريـر أيضـاً إلى أن حالـة «آنـى داوود» هـذه لا ينصـح فيها العلاج بالعقاقير، حيث لن تنتظر التحسن طوال مدة العلاج، بقدر ما تشـعر بالتحسـن والهدوء فـى عملها بالموسـاد. ففـى ذلـك إقنـاع لها علـى أن مـا تؤديـه مـن عمـل، يمثـل لديـها قمـة الثـأر لمـا

ارتكبته بحق موشيه.

وبناء عليه .. رأى فريق من خبراء الموساد أن «آنى داوود» ، ربما تشعر بالزهو Elation فى عملها الانتقامى فتتخلى عن حذرها وتنكشف. لكن الأغلبية رأت أنها جديرة بالعمل فى بيروت، ومع حصولها على دورات تدريبية تأهيلية مكثفة، ستكون اكثر حذرا .. وإقبالاً .. وشغفاً .

وانتهى الاجتماع على الموافقة على عودتها للبنان، وذلك بعد موافقة زيفى زامير رئيس الموساد.

هكذا تحدد لها أن تستمر وتواصل توغلها بين القيادات الفلسطينية، وجاءوا بها إلى المبنى المركزى حيث جلس إليها أحد كبار الرسامين، ومن خلال وصفها لعلى حسن سلامة، استطاع أن يرسم صورا تقريبية له، وتعهد بها اثنان من الضباط الخبراء، أحدهما تولى تدريبها على كيفية تسقط المعلومات، وتعميق علاقتها بكبار الضباط الفلسطينيين ذوى التأثير، والآخر أمكنه تدريبها على استعمال أحدث ما ابتكره العلم فى مجال أجهزة اللاسلكى.

كما تقرر لها بث رسائلها مرتان أسبوعيا يومى الخميس والاثنين، وتلقى الرسائل من تل أبيب كل ثلاثاء فى الحادية

عشرة ودقيقتين مساء.

كانت عميلة الموساد الجديدة طوال فترة تدريبها المكثف في حالة سعادة غامرة. فهي ستزداد خبرة تمكنها من إجادة عملها، وبالتالي يكون انتقامها عظيماً فتستريح نفسها ويهدأ بالها.

وفي الثالث من أكتوبر ١٩٧٣ غادرت تل أبيب إلى فيينا، حيث تسلم منها عميل للموساد جواز سفرها الإسرائيلي، وسلمها الجواز الأردني مع تذكرة سفر إلى بيروت فجر اليوم التالي.

هذه المرة .. عندما دخلت شقتها في فيينا لتمكث بها عدة ساعات، لاحظت أن ابتسامة موشيه لازالت مرتسمة كما هي. بل كانت نظراته أكثر بهجة واطمئناناً .

وقبلما تغادر شقتها إلى المطار بثوان .. انتفضت فجأة عندما دق جرس التليفون، وتسمرت مكانها للحظة .. ثم اتجهت صوب الكابل فنزعته . وغادرت الشقة في شوق للعمل .. وللثأر.! تحمل بين أمتعتها جهاز راديو يحمل ماركة عالمية معروفة، هو بالأصل جهاز لاسلكي أكثر تطورا ولا يمكن اكتشافه. وبحقيبة يدها كانت تحتفظ بالمصحف الشريف .. وقد نزعت عدة صفحات منه استبدلت بصفحات أخرى تحمل الشفرة.

شحنات الغضب

ولأن لبنان بلد سياحى حر .. فأمور التفتيش فى المطارات والموانى شكلية جدا ، ولا تخضع لرقابة صارمة كما فى سائر البلاد العربية، على اعتبار أن التدقيق الزائد يسئ إلى السواح.. الذين هم عماد الاقتصاد وأحد أسباب الرخاء. لذلك.. لم ينتبه رجال الجمارك لجهاز اللاسلكى المدسوس بحقيبة أمينة. فبيروت كانت فى تلك الفترة فى أوج انفتاحها.. وسوقاً رائجة لتجارة السلاح.. والمخدرات .. والرقيق الأبيض.. والجواسيس.

وبينما تهيأت العميلة الإسرائيلية للتحرك.. مدفوعة بشوق جارف إلى العمل. انطلقت شرارة الحرب وعبر المصريون خط بارليف المنيع، وعمت مظاهرات الفرح بيروت. وكما بكى رأفت الهجان بكاءً مريرا فى إسرائيل إثر هزيمة ١٩٦٧، انهارت «آنى داوود» فى ١٩٧٣. تناقض عجيب بين الحالين.

فتلك هى النفس البشرية فى اندفاع الوطنية ، أو الخيانة وأيضا الحب الجارف ـ أو الكره المقيت.

نشطت «آنى داوود» فى عملها التطوعى كطبيبة عربية

تجوب معسكرات اللاجئين فى أنحاء لبنان، وجاسوسة إسرائيلية تمد الموساد بالمعلومات الحيوية عن تحركات الفدائيين فى الجنوب، هؤلاء الذين شحنتهم انتصارات الجيوش العربية فازدادوا استبسالاً وضراوة. كذلك رجع على حسن سلامة من أوربا لترتيب خطط العمليات الجديدة. فالعدو فقد السيطرة على نفسه.. وعلى اتزانه.. والضربات القوية تترك آثارها بوضوح على وجهه المشوه.

هكذا انطلق رجال المقاومة فى الجنوب اللبنانى يضربون فى العمق الإسرائيلى بلا كلل.. واستدعى ذلك من المرأة العميلة أن تترك بيروت إلى صور ومعها جهاز اللاسلكى الصغير الذى يعمل على بطارية السيارة، حيث عكفت على بث رسائلها يومياً.. والتى وصلت فى أحيان كثيرة إلى خمس رسائل مهددة حياتها بذلك للخطر. واضطرت الموساد أمام سيل رسائلها إلى فتح جهاز الاستقبال على التردد المتفق عليه، لساعات طويلة على مدار اليوم.

هكذا كانت « أمينة المفتى » تنتقم.. وتفرغ شحنات غضبها فى رسائل يومية مبثوثة قد تعرضها للانكشاف والسقوط. لكنها لم تكن تستمع لنداءات الخوف أبدا. إذ اندفعت بجرأة أكثر،

وحملت جهاز اللاسلكى فى جولة لها بالجنوب اللبنانى قرب الحدود الجنوبية، وهناك فوجئت ببعض زعماء الجبهات الفلسطينية، برفقة أبو إياد[1] يتفقدون جبهة القتال ويصيحون فى الجنود فيثيرون حماستهم.

لحظتها .. تملكها الحقد والغضب.. وبمنتهى الجرأة اختلت بنفسها داخل أحد الكهوف.. وبثت رسالة عاجلة إلى الموساد.

لكن يا لحظها السئ .. لقد لعب القدر لعبته وتحرك رتل السيارات باتجاه الشمال. بينما وقفت عميلة الموساد تتحسر.. وتحدق فى السماء بانتظار الطائرات. خمس دقائق تمر.. عشر دقائق.. عشرون دقيقة، وأخيرا جاءت طائرتى ميراج فتطلقان صواريخ السيدوندر، والقنابل زنة الألف رطل. ورأتهما ترتفعان إلى عنان السماء ثم عاودتا الانقضاض من جديد، وهذه المرة بفتح خزانات النابلم الحارقة.

كل ذلك وهى ما تزال مستترة بالكهف ترقب تناثر الأجساد البشرية كالشظايا فى الهواء، فيصدر عنها صوت فحيح رهيب كفحيح الحية، وتضحك فى هيستيريا مجنونة مشبعة بالحسرة

---

(١) صلاح خلف ـ الرجل الثانى فى منظمة التحرير الفلسطينية، ورئيس أجهزة الأمن، ومسئول عن عمليات (فتح) العلنية والسرية.

والشماتة. حسرة انعتاق أبو إياد ورفاقه، وشمتاتة الهزيمة لبضعة جنود امتزجت أجسادهم بالتراب والدم والسلاح.

هكذا حملت «آني» اللاسلكي بحقيبتها في تجوالها بالجنوب اللبناني، طوال معركة اكتوبر ١٩٧٣، متنقلة بين المستشفيات الميدانية والمواقع العسكرية.. تسعف الجرحى من المصابين بداء وشايتها.. وتستمد من الحقد جرأتها وقوتها. وكانت بذلك أول جاسوس للموساد يعمل بجرأة أسطورية داخل بلد عربي.

تقول «آني» في مذكراتها التي بلغت صفحاتها ستمائة صفحة:

ـ منذ حملت معي جهاز اللاسلكي لأول مرة إلى الجنوب، وشاهدت بنفسي هجوم الميراج الإسرائيلي على الموقع الفلسطيني، بغرض تدميره وتصفية أبو إياد وأعوانه، وقد تملكني إحساس رائع بعملي.. إحساس بالزهو وجدت فيه لذة كبرى تفوق كل لذة. ومنذ تلك الحادثة في ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأنا احمل الجهاز الصغير بحقيبتي، بجواره المصحف ذي الجراب والشفرة.

كنت أكتب رسالتي أولاً على ورقة منزوعة من بلوك نوت،ثم أقف بسيارتي في مكان آمن، وأسحب هوائي الجهاز وأقوم بالبث

لدقائق. احياناً كثيرة كنت أبث الرسالة الواحدة مرتين للتأكيد، وأحرق الورقة وأعاود القيادة إلى مكان آخر.

وبفضل تصريح المرور الموثق، الذى وقعه عرفات شخصياً، كنت احوب بأمان شتى المواقع العسكرية الفلسطينية فى الجنوب. وأطلع بنفسى على أنواع الأسلحة وكميات الذخائر بالمخازن، ومعسكرات التدريب السرية.

لقد حالفنى الحظ كثيرا عندما وثق بى قادة منظمة التحرير، ذلك لأننى كنت أبدو متحمسة جدا لقضيتهم، وحقهم فى الكفاح لاسترداد الأرض المغتصبة، للدرجة التى دعت أبو إياد لأن يطلب منى إلقاء خطبة حماسية فى الجنود المعسكرين بالقرب من مخيم البرج الشمالى فى الجنوب من صور.

يومئذ.. ألقيت خطبة رائعة.. تتدفق منها الوطنية ومعانى العروبة.

لقد أجدت تماماً عندما صعدت من انفعالى فبكيت.. بكيت وأنا أصف مشاهد القتل والقصف والانكسار على وجوه الأطفال اليتامى، بكيت حقيقة وأنا أحثهم على الانتقام والثأر والكفاح.. وما كنت أبكى إلا لفقد موشيه الحبيب.. وبرودة الحياة من حولى

بدونه، وكذا والثورة المصطخبة بالغضب فى شراييني.. ضد هؤلاء الأوغاد الذين أذلوني.. وأترعوني جحيم الوحدة.. والصمت.. والعدم. كان انفعالى مثاليا ظن الجنود والقادة أنه إيمان منى بقضيتهم.. فبكوا .. وعندما بحثت عن منديل بحقيبتى أصطمت يدى بجهاز اللاسلكى المغلق..!!

قانون العنف

انتهت حرب ١٩٧٣ بوقف اطلاق النار، إثر مفاوضات شرسة ورحلات مكوكية إلى الشرق الأوسط قام بها اليهودى هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى.

ولم يرتح الجناح العسكرى لمنظمة التحرير الفلسطينية لذلك على الإطلاق. وأقرت المنظمة مواصلة الكفاح المسلح بناء على رغبة «الثورة الفلسطينية» .

وفى ٢٥ نوفمبر بدأ أول عمل فدائى فلسطينى. حيث تم اختطاف طائرة جامبو نفاثة تابعة للخطوط الجوية الهولندية KLM ، كانت فى طريقها من بيروت إلى طوكيو مرورا بنيودلهى ، تحمل على متنها ٢٤٤ راكبا وثلاثة من الفدائيين الفلسطينيين

الذين طالبوا بإطلاق سراح سبعة من زملائهم بقبرص، وألا تمنح هولندا تراخيص مرور لليهود السوفييت الذين فى طريقهم لإسرائيل . ووعدت الشركة KLM ، بألا تنقل سلاحا لإسرائيل تحت أى سبب . وانتصر الفدائيون انتصارا مذهلا، وتكررت عملية اختطاف طائرة أخرى لنفس الشركة بعدها بأيام.

وفى ١٧ ديسمبر ١٩٧٣ فى مطار روما أطلق عدد من الفدائيين نيران مدافعهم الكلاشينكوف بصورة جنونية داخل صالة المطار المزدحمة. ويختطفون طائرة ٧٠٧ تابعة لشركة بان أمريكان كانت راسية على الممر، وفجروا قنابلهم الفوسفورية بالطائرة فاحترق عدد كبير من الركاب، ثم جرى الفدائيون ومعهم بعض الرهائن واختطفوا إحدى طائرات شركة لوفتهانزا - بوينج ٧٣٧ - والتى كانت على وشك الإقلاع ، وحطت بهم فى أثينا.. وكانت مطالبهم الإفراج عن زملاءهم من منظمة أيلول الأسود.

ومع بدايات العام الجديد ١٩٧٤ - شكلت عدة منظمات فلسطينية ما يسمى بجبهة الرفض. وكان المتحدث الرسمى الجبهة هو الدكتور جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية، وبطل عمليات خطف الطائرات الإسرائيلية الأول.

كانت الضغوط شديدة جدا على أمينة المفتى خلال تلك الفترة. فالعمليات الفدائية الفلسطينية أربكت إسرائيل وزعزعت أمنها تماماً. بل وأصيبت بالعدوان غالبية دول أوربا المساندة لإسرائيل. فالفلسطينيون أرادوا الإعلان عن وجودهم بشتى الطرق، بما فيها العنف من خطف وتفجير.

وإذا كانت إسرائيل اعتمدت العنف قانوناً لها، فالفلسطينيون أيضاً رأوا الحل فى ذات السلاح.. دون غيره. وكان لتسارع الأحداث والعمليات الفلسطينية، الأثر البالغ فى انتشار سحب الخوف السوداء فوق رءوس الإسرائيليين. وفقدت الموساد بذلك خاصية مهمة طالما التصقت بها، وهى أنها حامية الدولة. وسخر الجميع من هيبة الموساد التى سقطت. ومن الدكتور «إيريش فولات» صاحب كتاب «ذراع إسرائيل الطويلة» الذى قال:

- «إن الموساد أسطورة من الأساطير الخفية، إنها تجعل العدو يرتجف.. وتمنح الإسرائيليين القدرة على النوم فى هدوء».

لقد انعكس الوضع الآن .. وأصبح الشعب الإسرائيلى كله يرتجف عند سماع أزيز طائرة، أو عند فرقعة إطار سيارة، او

انفجار عادم دراجة بخارية مسرعة.

وانتقل الضغط العصبى إلى أمينة المفتى فى بيروت.. فالأوامر كثيرة والمطلوب منها كثير ويفوق الوصف. لذلك اضطرت للانتقال تماماً إلى الجنوب اللبنانى، واستأجرت شقة بمنطقة الشجرة فى صور - على مسافة عشرين كيلو متراً من الحدود الإسرائيلية - اتخذت منها مركز انطلاق لاستكشاف تحركات الفدائيين الفلسطينيون .

كانت ككتلة الثلج التى ذاب ما حولها، فهوت مندفعة لا يجرؤ إنسان على إيقافها .. أو التصدى لها. كانت تحمل روحها على كفها. ولا تهتم بالخطر أو تحسب له حساباً.

وفى لحظة.. استجمعت جرأتها فى عنف.. وطلبت من مارون الحايك أن يزورها بشقتها فى بيروت. فأسرع إليها يمنى نفسه بوليمة فسق مثيرة، لكنه ما إن دلف إلى الصالون، حتى وقف مذهولاً.. وقد تجمدت الدماء فى عروقه.. وتعلقت عيناه الجاحظتان بنجمة داوود الزرقاء على الحائط.

كان المسكين كالفأر المذعور الذى وقع فى المصيدة، سنوات

طويلة من حياته مرت به وهو يستمرئ المغامرة ويستلذ اصطياد الفرائس ، لكنه ولم يتوقع أبدا أن تجئ لحظة ينقلب فيها حاله، ويصبح هو الفريسة المرتجفة، بين يدى امرأة كانت إلى عهد قريب ناعمة.. مثيرة.. رقيقة.. انقلبت فجأة إلى وحش مسعور، تنبعث رائحة الموت فى نظراتها.. ويسمع له وقع فى صوتها الشيطانى الرهيب[1] .

الغضب الهادر

أسفرت عملية تجنيد مارون الحايك عن فائدة عظيمة لإسرائيل.. إذ أن التجسس المستمر على مكالمات القادة وزعماء الجبهات الفلسطينية، كشف نواياهم تجاه الدولة العبرية، وخططهم الفدائية للضرب داخل الأراضى المحتلة. ولم تكن الأحاديث التليفونية المتداولة من خلال التليفونات السرية أحاديثا مكشوفة تماماً، يستطيع المتنصت عليها إدراك مضامينها بسهولة، إنما اعتمدت على أسلوب التمويه والشفرة الكلامية التى تتطلب مهارة عبقرية لفهمها.

---

(١) تفاصيل كل هذه الأحداث جاءت بكتابنا: «أمينة المفتى.. أشهر جاسوسة عربية للموساد» عن مكتبة مدبولى بالقاهرة.

كان بعض زعماء الجبهات أحياناً ينسون انفسهم ، فيتحدثون علانية فيما بينهم صراحة، أو مع مساعديهم ، ظناً منهم - وهذا خطأ كبير - أن التجسس على محادثاتهم أمر مستحيل. فالدوائر التليفونية المغلقة كانت محددة بكل منظمة، والاتصال بالمنظمات الأخرى فى بيروت نفسها يتم بواسطة خطوط شبكة المدينة. وكذا الاتصال بخارج المدينة . وكانت السرية خاضعة للخدش عن طريق زرع أجهزة التنصت.. أو استراق السمع بأسلوب مارون الحايك، من خلال الغرفة السرية التى أقامتها الميليشيا المسيحية فى لبنان للتجسس على المسلمين.. وعلى الفلسطينيين أيضًا الذين اتخذوا من حى الفكهانى مقرا لهم، فكان بمثابة عاصمة فلسطينية وسط بيروت وجنوبها.

فبالحى الذى يقع بالقرب من مخيمى صبرا وشاتيلا، أعدت منظمة التحرير مكاتبها بطريقة عشوائية حول مبنى جامعة الدول العربية. وأقام قادتها فى مبان مجهولة تحت حراسات مشددة.

فالمنظمة التى أسسها عرفات - خريج هندسة القاهرة ١٩٥٦ - أكثر من مجرد مقاومة شعبية.. بل جيش مسلح مدرب، يتربص بإسرائيل لضربها فى الأعماق.

كانت «آنى داوود» تدرك ذلك جيدا .. وترى بنفسها الرقابة القوية الصارمة التى تفرضها كبرى المنظمات الفلسطينية - فتح - على منشأتها فى حى الفكهانى.. والحراسة المكثفة التى حول مقر عرفات كلما ذهبت لمقابلته.

وعندما اتصل بها مارون الحايك ليبلغها بأخبار جديدة، فتحت على الفور جهاز اللاسلكى صباح يوم ٢٣ مايو ١٩٧٤، وبثت إلى الموساد رسالتها الخطيرة:

- (بعد عدة دقائق من الآن - سيهاجم ثمانية من الفدائيين المتسللين مستعمرة « زرعت» .. تسليحهم رشاشات كلاشن وقنابل ٥٧ ملم/ م.د).

وبالفعل.. صدقت المعلومة تماما .. وأطبق الإسرائيليون على ثمانية فدائيين ، فقتلوا ستة منهم وأسروا اثنين .

وعندما كانت عميلة الموساد تتجسس بنفسها على مكالمات القادة الفلسطينيين، اقتحمت الخط السرى الخاص بمكتب جورج حبش[1] . فلاحظت بعد عدة مكالمات أجراها ، أن هناك ترتيبات

---

(١) طبيب أطفال أسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وابتدع خططا جديدة للفت أنظار العالم إلى مصير الفلسطينيين، وهى خطط خطف الطائرات . وأول عملية له كانت خطف طائرة العال الإسرائيلية البوينج ٧٠٧ إلى الجزائر. وأجبر إسرائيل - =

عسكرية يتم إعدادها بشكل سرى، حتى انفجر الحوار ساخناً جداً بينه وبين أحد مساعديه فى صيدا. حيث بدا حبش منفعلاً أشد الانفعال، وهو يأمر مساعده بإتمام العملية فى موعدها المقرر. وفى غمرة انفعاله تناثر اسم كيبوتز شامير[1] سهوا.

لم تهمل عميلة الموساد الامر. وأبلغت رؤسائها على الفور بما سمعته. وبعد ثلاثة أيام كان هناك خمسة من الفدائيين القتلى على مشارف قرية كيبوتز شامير، بوغتوا قبلما يستعملوا رشاشتهم الالية.

رأس الحية

وفى الأول من أكتوبر ١٩٧٤ عندما كانت بغرفة المراقبة السرية بالسنترال، صعقت وهى تستمع إلى حوار ساخن بين على حسن سلامة وأحد مساعديه، وأدركت أنها النهاية المؤكدة للملك حسين. بل ولمؤتمر القمة العربى فى الرباط. ولنقرأ معاً ما كتبته فى

= التى صدمت للمفاجأة - على الإفراج عن عشرين فلسطينياً محتجزين فى سجونها. وكانت المرة الأولى التى ترضخ فيها إسرائيل فى ٢٣ يوليو ١٩٦٨.. والأخيرة.

(١) كيبوتز - كلمة عبرية تعنى « لم الشمل» . وهى قرية جماعية أرضها ومبانيها وأدواتها كلها ملك جماعى لأهل القرية، والحياة فيها مشتركة. وبرز هذا النوع من المستعمرات خلال موجة الهجرة اليهودية الثالثة إلى فلسطين ١٩١٨ – ١٩٢١ م.

مذكراتها عن أحداث ذلك اليوم. تقول أمينة:

ـ (كنت بالغرفة السرية منهمكة فى عملى، تمتد أسلاك جهاز التسجيل إلى جوارى، وعلى كرسيه يقبع خلفى مارون الحايك، تلفح جسدى نيران نظراته برغم هواء الغرفة المكيف اللطيف. كانت الغرفة الواسعة ذات بابين، أحدهما مغلق دائماً ولا يفتح إلا بإذن خاص وهو يؤدى إلى الممر الرئيسى، أما الباب الآخر فسرى ويشكل جزء من دولاب حائط كبير، ويتصل بسلم خلفى صاعد.

كنت انصت إلى حوار هادئ بين عبد الوهاب الكيالى زعيم جبهة التحرير العربية التى ترتبط بحزب البعث العراقى، وأحمد جبريل زعيم جبهة التحرير الشعبية التى نفذت عملية فدائية ناجحة فى إسرائيل منذ فترة وجيزة. وأصابنى الملل لتفاهة الحوار بينهما، فالتفت إلى مارون الذى انتبه إلىّ وسألته عمن يعرف سر هذه الحجرة المثيرة، فأجابنى بأنهم نفر قليل، وإجراءات دخولها تخضع لتعقيدات وقيود كثيرة.

كان مارون يحدثنى بنبرة مليئة بالثقة بما يدل على انه قام بعمل بطولى لأجلى. واقتحمت خطوط عرفات وحبش وحواتمه وأبو إياد فوجدتها مغلقة.. وحينما فكرت بالانصراف طرأت ببالى فكرة التجسس بهدوء على تليفون سلامة.

لقد كان الوقت قبيل منتصف الليل بقليل، وسلامة يتحدث مع أبو نضال[1] . ضغطت على ذر التسجيل وأحكمت السماعتين فوق أذنى وانتبهت للحوار بينهما.

اقشعر بدنى كله وبدأ شعر رأسى كأنه يتصلب.. وينتصب، وأنا أستمع إلى سلامة يقول فى ثورة:

ـ (التل[2] وحده لا يكفى. علينا برأس الحية صديق اليهود. ومؤتمر الرباط فرصتنا الأكيدة فلنكن حذرين.. وشجعان) .

هناك إذن تخطيط لاغتيال الملك حسين فى الرباط.. وتبنت العملية منظمة أيلول الأسود.

وفى شقتى لم أقو على الانتظار لأبدل ملابسى، فأرسلت على الفور برسالتى الخطيرة إلى الموساد. وبعد ست وثلاثين دقيقة جاءتنى رسالة تطلب منى إعادة البث. فأيقنت أن القلق ركب رءوس القيادة فى إسرائيل ، خوفاً على صديقهم العربى الأوحد.. الملك حسين.

---

(١) أبو نضال ـ هو صبرى خليل البنا ـ قائد مجلس فتح الثورى، ومن اشهر وأشرس الفلسطينيين. قتله صدام عام ٢٠٠٢ فى مغازلة للأمريكيين وادعى بأنه انتحر.

(٢) وصفى التل ـ رئيس وزراء الأردن، اغتالته عناصر من أيلول الأسود فى ١٩٧١/١١/٢٨ بمدخل شيراتون القاهرة.

ومرت ثلث الساعة إلا دقيقة واحدة، وجاءتنى رسالة أخرى تحمل أمرا هو غاية فى العجب.. والدهشة.

إذ أمرت بالبحث عن وسيلة لدخول شقة على حسن سلامة بحجة تطبيب عياله أو تطعيمهم ضد بعض الفيروسات .

فحتى تلك اللحظة .. لم أكن أعرف أن لسلامة أولاد.. وزوجة أخرى تمت بصلة قرابة لمفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى. وقلت فى نفسى: أترضى ملكة جمال الكون - جورجينا رزق - بدور الزوجة الثانية؟؟ يا لسلامة المحظوظ .. الهانئ.. السعيد..!!

وحالف الحظ الملك، عندما تمكنت السلطات المغربية من إلقاء القبض على وحدتى كوماندوز فلسطينيتين، وصلتا من أسبانيا لاغتياله، وتم التعتيم على الأمر خاصة وقد حضر عرفات المؤتمر، وحقق نجاحاً كبيرا فى الحصول على أكبر دعم عربى لشرعية منظمة التحرير.

انشغلت «آنى» بشكل لم يسبق له مثيل .. وساعدها مارون ومانويل فى نوبات التنصت على تليفونات القيادات الفلسطينية، بل إنها استطاعت تجنيد صديقتها خديجة زهران التى طلقت من زوجها اللبنانى، فتزوجت بغيره وطلقت منه أيضاً، وسقطت فى

شبكة عميلة الموساد فى أحلك لحظات ضعفها وحاجتها إلى النسيان.. والمغامرة.. والثراء.

رباعى عجيب انطلق فى مهام تجسسية صعبة، لإمداد الموساد بأخطر المعلومات عن الفلسطينيين.

وعندما طلبت «آنى» من الموساد الإذن بمغادرة بيروت إلى تل أبيب، أعيد تذكيرها بإيجاد فرصة مناسبة لدخول شقة على حسن سلامة فربما يمكن العثور على القوائم السرية لرجال مخابراته فى أوربا .

وعلى ذلك انتهزت فرصة الالتقاء بسلامة فى الكورال بيتش كالمعتاد، وسألته فى خطأ فادح عن أولاده. فدهش الرجل الذى لم يحدثها عنهم من قبل مطلقاً.

وبحاسته الأمنية العالية ملأه الشك تجاهها، وقرر البحث عن ماضيها. وطلب من رجاله فى عمان إعادة موافاته ببيانات عن الطبيبة الأردنية أمينة داود المفتى، التى يعيش أهلها بحى صويلح أرقى وأروع أحياء عمان.

فجاءه الرد بأنها بالفعل طبيبة أردنية، غادرت وطنها إلى النمسا للدراسة، ولمشاحنات مع أهلها قررت ألا تعيش بعمان.

اطمأن سلامة لتحريات رجاله.. وتجددت ثقته بأمينة. لكن بلاغاً سرياً من أوروبا وصل إلى مكتب المخابرات، قلب الأمور كلها رأساً على عقب.

الرسالة الأخيرة

أفاد البلاغ أن شاباً فلسطينياً فى فرانكفورت، صرح لأحد المصادر السرية بأنه تقابل مع أحد الفلسطينيين فى فيينا، وبعد لقاءات بينهما فى حانات المدينة ومقاهيها، اخبره بأن له صديقة نمساوية يهودية، ماتت إثر تعاطيها جرعة زائدة من عقار مخدر، تزوج شقيقها الطيار من فتاة عربية مسلمة، وهربت معه إلى إسرائيل خوفاً من اكتشاف أمرها وملاحقة أجهزة المخابرات العربية لها. وأن الفتاة كانت تدرس الطب فى النمسا، وانتقلت إلى لبنان بعدما أسقط السوريون طائرة زوجها، الذى اعتبر مفقودا.

كان البلاغ يحمل نبرة عالية من الشك . فلو أن الأمر صحيح ، إذن فهناك جاسوسة عربية بين الفلسطينيين. وكمسئول أمنى يسعى وراء المعلومة ، طلب سلامة إعادة استجواب الشاب فى فرانكفورت، ولو اضطروا لأخذه إلى النمسا ليدلهم على

الفلسطينى الأخر. مذيلا أوامره بضرورة السرعة، وإلى حين تصله معلومات أخرى، قرر فحص ملفات كل الطبيبات العربيات المتطوعات فى المستشفيات الفلسطينية.. واللبنانية أيضا ، وانحصرت الشكوك المبدئية فى أربعة طبيبات عربيات . وفى انتظار التقرير الحاسم الذى سيجئ من أوربا.. أمر سلامة بوضعهن تحت المراقبة الصارمة طوال الأربعة والعشرين ساعة.

لقد كان السباق محموما للوصول إلى الحقيقة بأسرع ما يمكن.. وبينما الطقس مشحونا بالشكوك والترقب، أحست «آنى » بعينى الجاسوسة المدربة ، بأن هناك عيونا ترصدها.. ولا تترك لها مساحة من الحرية لتتحرك بيسر كما اعتادت دائما . وأول ما فكرت فيه هو التخلص من جهاز اللاسلكى، دليل الإدانة الذى سيقدمها إلى حبل المشنقة. فبثت رسالتها الأخيرة إلى الموساد: (هناك من يراقبنى ليل نهار منذ الأمس . أنا خائفة ومرتبكة. سأموت رعبا. أفيدونى) !

خبراء المخابرات دائما يشفقون على العميل الخائف، خاصة إن كان مزروعا ببلاد الأعداء، ويدركون جيدا حجم المعاناة النفسية الرهيبة التى تغشى تفكيره، فقد تقوده المعاناة إلى نقطة النهاية والسقوط، بسبب وقوعه فى حالة ضعف تدمر أعصابه، وتعصف

بجرأته وبثباته. وهم فى تلك الحالات يفضلون أن يفر عميلهم بحياته وبأى ثمن. لذلك ردوا على العميلة الخائفة:

(ضعى الجهاز بسلة قمامة الشقة العلوية. إحرقى الشفرة. غادرى بيروت بهدوء إلى دمشق بطريق البر. ستجدين رسالة بمقهى «الشام»).

تنفست «آنى داوود» الصعداء. وشرعت فورا فى تنفيذ أوامر رؤسائها.

لقد كان عليها ألا تلتقى بأحد أفراد شبكتها.. لكن فى الوقت نفسه يجب تحذيرهم من السعى إليها. لذلك اتصلت بخديجة ومارون ومانويل وأخبرتهم بأنها فى طريقها إلى دمشق للسياحة.

ألقت بظلالها

يعصف بها الخوف والهلع ، حملت «آنى » حقيبة يدها الصغيرة وغادرت شقتها، لتدور بعدها فى شوارع بيروت أشرس عملية هروب ومطاردة بين الجاسوسية الخائفة ومطارديها.

وفى موقف السيارات المتجهة إلى دمشق اعتقدت بأنها أفلتت من المراقبة، حتى إذا ما صعدت إلى الباص واطمأنت فى مقعدها،

فوجئت برجلى أمن يقفان إلى جوارها ، فألجمها الخوف وانخرست.. واعتقدت بأنها النهاية الحتمية لمشوار خيانتها، فقررت بألا تموت على أيدى الفلسطينيين.

وبلا وعى .. انطلقت أصابعها فى لحظة كالبرق، تبحث عن كبسولة سم السيانيد بين خصلات شعرها. لكن أيدى رجلى الأمن كانت الأسرع، إذ انقضت عليها كما تنقض حية الكوبرا على فريستها، واقتيدت إلى سيارة بيجو استيشن مفتوحة الأبواب كانت تنتظر خلف الباص، يقف إلى جوارها رجلان آخران جامدى الملامح. وقبلما تبلغ البيجو فشلت ساقاها فى حملها، فاضطر الرجلان إلى رفعها عن الأرض رفعاً، وألقيا بها إلى داخل السيارة التى انطلقت كالريح إلى حى الفكهانى ، تسبقها سيارة أودى - ٨٠ - إل . إس تقل أربعة رجال مدججين بالسلاح.

وأمام أحد المبانى بالقرب من المدينة الرياضية، سحب الرجال العميلة المغماة إلى الداخل، حيث أودعت غرفة ضيقة تحت الأرض، تكبل يديها من الخلف سلسلة حديدية طويلة ربطت إلى الحائط.

لم يكن لدى المخابرات الفلسطينية - رصد - دليل واحد ضدها.

فالتقرير لم يصل بعد من أوربـا ليؤكـد براءتـها مـن عدمـه. لكن حينما أمسك رجال الأمن بها كـانت ملامحها كلها تنطق بـالخوف وتضج بالرعب، ولأنهم اعتادوا تلك الملامح التى ترسم عادة علـى وجـوه الخونـة، أيقنـوا بـأن الأمـر جـد خطـير.. خطـير جــدا. وأن الطبيبـة المتطوعـة متورطـة فـى جـرم آثـم. خاصــة .. بعدمـا تعرضت المـادة السـائلة بالكبسـولة للتحليـل، واتضـح أنــها سـم السيانيد الذى تكفى نقطة واحدة منه لقتل فيل بالغ.

لقد كان لابد من تركها هكذا لعدة أيـام بـدون اسـتجواب، حتـى تنهار إرادتها من ناحية، ولمحاولة امتـلاك أدلـة ماديـة مـن ناحيـة أخرى. وعلى ذلك .. قام فريق متخصص بتفتيش شقتها تفتيشـا غاية فى الدقة.. ولعدة مرات فشلوا فى العثـور علـى دليـل واحـد يدينها . فالعميلة المدربة، وبرغم خوفها الشـديد، وجـدت أمامـها قبل الهرب الوقت الكافى لإزالة أى آثار أو أدلة قد تقودها إلى الموت. ولم تترك خلفها سوى المصحف الشريف وقد انتزعت من منتصفه عدة صفحات.

وكان هذا الأمر يمثل لغزا محيرا لرجال رصد، الذين فشـلوا فـى

«رصد» العميلة دون أن تلقى بظلالها عليهم[1] .

كان جهاز الأمن والمخابرات - رصد - يعمل فى تلك الفترة تحت قيادة أبو إياد «صلاح خلف» الأب الروحى للمخابرات الفلسطينية ولمنظمة أيلول الأسود ، والدينامو المحرك والعبقرى الفذ. ويعد الجهاز أكثر العناصر المكونة سرية داخل منظمة التحرير ، فهو جهاز الاستخبارات الأولية، والمختص بمكافحة الجاسوسية، وبه وحدة سرية للعمليات الخاصة، وله مكاتب فى أغلب الدول العربية، ويصعب تقدير عدد أعضائه على وجه الدقة.

وأبو إياد[2] هو معلم الجواسيس الأول فى منظمة التحرير

---

(١) ألقى بظلاله: مصطلح مخابراتى القصد منه أن المراقبة مكشوفة، بمعنى.. أن الجاسوس أدرك بأنه مراقب.

(٢) ولد أبو إياد فى يافا عام ١٩٣٣ وانتقل إلى غزة مع أسرته بعد إعلان قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، ثم تعلم فى القاهرة بكلية التربية والتقى بعرفات حيث صارا حليفين لا ينفصلان. وكان الرجل كثيف الشعر يمتلك فكا حاد الزاوية، وعينان لامعتان ترصدان بقوة مغناطيسية تقرب من قوة التنويم المغناطيسى. تلك السماعات التى تمكنه من رصد كل شئ حوله هى التى تخيف كل من يقابله. فهو كما يقولون بمقدوره أن يجلس صامتا لساعات طويلة كأبى الهول، لكن عقله دائم اليقظة، لديه القدرة على القيام بعمليات فكرية معقدة، واتخاذ القرارات الحاسمة والباترة، بل إنه لا يتردد فى أن يأمر بإعدام كل من يشك فى تآمره مع العدو . وهو عاشق لأسرته التى تردد أنها مازالت تعيش بالقاهرة، وله ثلاثة من الأولاد ومثلهم من البنات - وأقربهن إلى قلبه - جيهان - المصابة بشلل الأطفال. وتتشكل حياة أبو إياد طبقا لاعتبارات أمنية، واغتيل فى ١٤ / ١ / ١٩٩١ بتونس ، فى مكتب منظمة التحرير الفلسطينية .

الفلسطينية، والمسئول عن أمنها وجهازها السرى، وهو أيضاً حلقة الاتصال الرئيسية بينها وبين الجبهات المعارضة، وأحد العناصر الضالعة فى تخطيط وتنفيذ عملية ميونخ، وكان هو الذى أمر فى ١٩٧٣ بالاستيلاء على السفارة السعودية فى الخرطوم وقتل السفير الأمريكى ونائبه، كما لعب دورا رئيسياً فى حادث مقتل السفير الأمريكى فرانسيس ميلوى فى بيروت عام ١٩٧٦، وكذلك فى عشرات العمليات المسلحة الأخرى.

وما إن وضع أمام أبو إياد تقريرا كاملا عن امينة المفتى، حتى ذم شفتيه ملقياً برأسه إلى مسند كرسيه، ينظر إلى حلقات دخان سجائره المتشابكة فى صمت طويل.. وقال لسلامة فى وجوم:

- يجب ألا نعاقب امرأة عربية دون أدلة قطعية قوية تؤكد إدانتها. فلننتظر تقرير رجالنا فى أوربا. وحتى يصل التقرير فلا عقاب ولا استجواب.

هكذا قبعت أمينة فى زنزانتها المظلمة بباطن الأرض تترقب الموت ببطء ، وتنسل من عروقها نبضات القوة رويدا رويدا، حتى استحالت الدقائق عندها إلى الجحيم بعينه ، وانقلب الانتظار إلى وحش مسعور يفتك بعقلها.. وبوجدانها.

وكـأنه العـواء

كان رجال المخابرات الفلسطينية فى أوربا يلهثون خلف الشـاب الفلسطينى العابث، يرافقهم الشاب الآخـر صـاحب البـلاغ، والـذى استقدموه من فرانكفورت رأساً إلى فيينا. فهو الوحيد الـذى يمكنـه التعرف عليه بسهولة.

هكذا جـابوا شـوارع فيينـا وحدائقـها ومواخيرهـا دون جـدوى وكانما انشقت الأرض وابتلعته. ولم يكـن أمـام الرجـال إلا طريقـة واحـدة - غايـة فـى الخطـورة - لاستجلاء الحقيقـة مـن مصادرهـا الرسمية، وهى البحث عن سجلات مكتب «الزواج مـن الأجـانـب» . وكان الخوف كل الخوف من لفت انتباه رجال الموساد فى النمسا إلى ما ينقبون عنه.

لذلك .. كانت عملية البحث تتم تحت ستار كثيف مـن السـرية والتكتم. وبواسطة خطاب مزور صادر عـن السفارة الأردنيـة فـى فيينا، يخاطب إدارة مكتـب الـزواج مـن أجـانب، أمكـن الوصول إلى عنوان شقتها وإلى حقيقة الزواج المحرم.

وفى الحال طار أحد الضباط إلى بيروت يحمل صورة رسمية من

عقد الزواج، فى ذات الوقت الذى اقتحم فيه رجال «رصد» شقتها فى فيينا، حيث عثروا على أجندة متوسطة الحجم، سجلت بها «أمينة» مذكراتها وتفاصيل عملها فى بيروت قبل رحلتها التدريبية الأولى لإسرائيل.

هكذا انكشف الأمر دون أن يلاحظ رجال الموساد المنتشرون فى النمسا، أو يخطر ببالهم أن رجالاً يفوقونهم ذكاء ينقبون عن ماض غامض لعميلتهم المدربة.

تجمعت كل الأدلة على مكتب أبو إياد الداهية، ولم يكن أمامه سوى محاصرة عميلة الموساد والسيطرة عليها، لتكشف النقاب عما أبلغته للموساد، ودورها الحقيقى فى ترصد حركة المقاومة، خاصة بعد فشل عدة عمليات فدائية كان وراءها جاسوس خفى، وأيضاً .. لترشد عن بقية أعضاء شبكتها فى بيروت أو خارجها.

أخذت «آنى داوود» إلى جبال صيدا بعد استئذان الشيخ بهيج تقى الدين وزير الداخلية اللبنانى، وبعد تجويعها وحرمانها من الماء والنوم لفترة طويلة، بدت فى شبه انهيار، لكن إرادتها كانت تتأرجح بما يعنى أنها تريد كسب الوقت لصالحها. بيد أن السلطات الأمنية الفلسطينية كانت بحاجة لإنهاء الاستجواب والتوصل إلى

شتى المعلومات المطلوب معرفتها فى أقصر وقت، خشية هروب بقية رفاقها فى حال اكتشافهم لسقوطها.

كانت الدقائق تمر رهيبة على العميلة الإسرائيلية السجينة ، تلك التى آمنت من قبل بأكذوبة الموساد الأسطورية، بأن الفلسطينيين لن يكشفوها أبدا، لأنهم رتبوا كل شئ لحمايتها فى حالة كشفها .

فرجال الكوماندوز الإسرائيليين، خاصة فريق العمليات الخاصة المعروف باسم « السايريت ماتكال » سيعثرون عليها وسيخطفونها إلى إسرائيل بالقوة.

لكن العميلة الواهمة وقد أفاقت على الحقيقة المؤلمة، لفظت إيمانها العميق بالموساد، وقبعت يذبحها الهلع داخل الكهف الخانق ، فى انتظار النهاية المرعبة.

محضر استجواب جاسوسة

وجاء فى ملف استجوابها أنه فى يوم ١٢ أيلول «سبتمبر» ١٩٧٥، الساعة الواحدة وخمس دقائق مساء، أخضعت أمينة المفتى للتحقيق، وكان استجوابها برئاسة العقيد أبو الهول، وبإشراف القائد محمد داوود عودة «أبو داوود» كما يلى:

- اسمك بالكامل..؟

ـ أمينة داوود محمد المفتى.

- جنسيتك..؟

ـ أردنية.

- تاريخ ومحل ميلادك..؟

ـ بكالوريوس علم النفس الطبى جامعة فيينا عام ١٩٦٣.

- والدكتوراه..؟

ـ مزورة .. فأنا لم أكمل دراستى العليا.

• أين ومتى تم تجنيدك فى الموساد..؟

ـ أنا لم أجند. لكنهم هددونى فى فيينا فى شهر مايو ١٩٧٢.

• كيف ..؟ نريد كل التفاصيل.

ـ كنت أسعى للحصول على درجة الدكتوراه فى فيينا. ولما فشلت فى ذلك تزوجت بطيار نمساوى يهودى اسمه موشيه بيراد، الشقيق الأكبر لصديقتى سارة، وكنا قد ارتبطنا معاً بعلاقة حب.

• تتزوجين من يهودى وأنت المسلمة..؟

ـ كانت ظروفى النفسية سيئة وتزوجته بإلحاح منه، ولم أكن أعلم أن ذلك حراماً لأننى غير متدينة.

• ألم تشكين فى نواياه وهو يلح فى الزواج منك..؟

ـ لا .. مطلقاً .. فهو كان يحبنى جدا ويسعى لإسعادى.

• هل يعرف أهلك فى الأردن بقصة زواجك من يهودى..؟

ـ لا .. فقد عارضونى بشدة عندما أخبرتهم برغبتى فى الزواج من شاب نمساوى . وكنت قد كذبت عليهم وأدعيت بأنه

مسلم من جذور تركيـة. لذلك.. هربت مع موشيه إلى إسـرائيل خوفاً من أن تطاردنى أسرتى عندما تكتشف الحقيقة.

- وما هى قصة هروبكما هذه..؟

ـ جاءنى موشيه ذات يوم ـ وكنا نعيش فى وسـتندورف قبلما ننتقل إلى فيينا ـ وبيده إحدى الصحف المحلية، وقال لى توجد بالصفحة التاسعة حكاية غريبة عن طبيب إيطالى، يغتصب مريضاته فى حجرة العمليات بعد تخديرهن. ولما قرأت الصفحة لفت انتباهى إعلان بارز عن طلب طيارين عسكريين أوربيين من اليهود للهجرة إلى إسرائيل. كانت المزايا المقدمة مغرية جداً ومثيرة، فتكلمت مع موشيه وناقشت الأمر معه لكننى فوجئت به لا يكترث. فغضبت منه لأنه يعرف مدى خوفى من مطاردات أهلى لى، وحالات التوتر التى لا تكف عن إرهاق أعصابى ليل نهار. وكلما وجدته كذلك ازددت إلحاحاً فى مناقشته الفكرة معه. فقبلها بوقت ليس طويل كان قد حدثنى عن رغبته فى العمل كطيار مدنى بإحدى الشركات الكبرى.

وبعدها بأيام انتقلنا إلى شقتنا الجديدة بفيينا، إلا أننى كنت لازلت غاضبة ومكتئبة وخائفة. وكثيرا ما صحوت من نومى

هلوعة مضطربة، وأجدنى لا أهدأ إلا بعدما أبكى بحرقة، فكان حالى يؤرقه ويضايقه. ولما وافق على مناقشة فكرة الهجرة لإسرائيل، سألنى عن قناعتى فأجبته بأن إسرائيل هى المكان الوحيد الذى سأشعر فيه بالأمان لأن أهلى لن يتوصلوا إلى هناك، فقال إنه يخشى أن يرفضوا طلب الهجرة لأننى مسلمة.. وأردنية، فقلت له: وكيف نضمن الموافقة؟

فقال: بأن تتهودى. ولما وافقت اصطحبنى إلى معبد شيمودث بفيينا حيث تم تعميدى وأصبحت يهودية.

قد استدل عليه

- هل كنت تكرهين كونك عربية.؟

ـ كنت أكره مظاهر التخلف فى بلادى.

- هل عدم اكتراث موشيه بالإعلان الذى جاء بالصحيفة يوحى لك بشئ الآن..؟

ـ ربما كان يدفعنى لأن ألح أكثر وأكثر .. أو أنه كان يرغب بالعمل كطيار مدنى.

- هل موشيه كان يهوديا متدينا..؟ وهل كان يحب إسرائيل..؟

ـ لا .. لم يكن متديناً . فنادرا ما كان يذهب إلى المعبد. لكنه كان يحب إسرائيل ويفتخر بتلطف بتفوقها وتقدمها.

- وسارة ..؟

ـ كانت مجنونة بإسرائيل، وتصطاف بها كل عام.

- هل استدعتك جهات أمنية فى فيينا قبل هجرتكما

لإسرائيل..؟

- لا.

- وهل حدث ذلك فى إسرائيل..؟

- نعم. اصطحبنى ضابطان إلى جهة أمنية لا أعرفها فى تل أبيب.

- ماذا حدث معك هناك..؟

- برروا لى حروبهم مع العرب، وأنهم يدافعون عن وطنهم ولا يبغون عدواناً على أحد، وأنهم يسعون إلى السلام.

- هل اقتنعت..؟

- كنت أقول لهم ذلك .. لكننى لم أكن مقتنعة بما يقولون. «كانت تكذب .. فهى نسيت عروبتها وتحولت إلى يهودية قلباً وقالباً..».

- كم مرة استدعيت لمكتب الأمن..؟

- مرة واحدة.. لكن ضابطاً اسمه أبو يعقوب كان يزورنا دائماً ويجلس معى كثيرا ليؤكد تبريراته.

- ما هو اسمك الرسمى فى أوراقك الإسرائيلية..؟

ـ آنى .. آنى موشيه بيراد

• متى أخبروك بسقوط طائرة زوجك..؟

ـ فى ١١ أبريل ١٩٧٢.

• من اخبرك..؟

ـ أبو يعقوب.

• هل قال لك أنه مات..؟

ـ لا .. أخبرنى أن السوريين أسقطوا طائرته، ولم يعلنوا بعد عن أسره، بما يعنى أنه ربما يكون هاربا فى الجبال.

• هل طلبوا منك التوجه إلى سوريا ولبنان للبحث عنه..؟

ـ ليس صراحة.. لكنهم أوحوا إلى أنه ربما التجأ إلى أحد الكهوف الجبلية بسوريا فى انتظار النجدة، أو أن إحدى المنظمات الفلسطينية تحتفظ به سرا للمساومة عليه. ولما أنبأونى بأنهم يبحثون عمن يتقصى أخباره، طلبت منهم أن أقوم بنفسى بالمهمة، وعلى ذلك سمحوا لى بمغادرة تل أبيب إلى فيينا بجواز سفرى الإسرائيلى، والسفر إلى بيروت من هناك كأردنية.

• هل دربت على كيفية تقصى المعلومات للبحث عن

زوجك..؟

- لا .. هم فقط طلبوا منى الاحتراس والحذر.

• وكيف جندت بعد ذلك..؟

- أنا لم أجند .. فقد استدعونى إلى فيينا وتقابلت مع ثلاثة إسرائيليين ، أقنعونى بأنهم جاءوا لتسهيل إجراءات إرث زوجى والتعويض الذى تقرر له.

• صرف تعويض يعنى أنه مات بالفعل. فعلام كان سفرك إذن لبيروت..؟

- لم اكن أعرف ذلك بالضبط . لكنهم نصحونى بتقصى أخبار المنظمات الفلسطينية فى بيروت فقد أستدل عليه.

• تستدلين عليه فى بيروت أم فى دمشق..؟

- من خلال المنظمات الفلسطينية فى بيروت.

• وكيف تدربت على تلك المهمة..؟

- فى فيينا علمونى كيف أكتب الرسائل بالحبر السرى، وأساليب إثارة المتحدث ليفشى أسراره. واستقدموا لى من إسرائيل أحد خبراء تقوية الذاكرة وتخزين المعلومات والأرقام والأسماء

والصور «الاعتراف بالتجسس واضح جدا هنا..».

- إذن كان المطلوب منك تقصى أخبار الفلسطينيين وليس تقصى أخبار زوجك..؟

ـ تقصى أخبار الفلسطينيين بغرض تسقط المعلومات منهم عن موشيه. «وهنا كانت تحاول المراوغة».

- هل حددوا لك مهام بعينها..؟

ـ نعم.. طلبوا منى التحرى عن مقار إقامة القادة الفلسطينيين، والتغلغل داخل رجال المقاومة لمعرفة أخبارهم.

- ماذا كانوا يريدون بالضبط ..؟

ـ كانوا يريدون معرفة الطرق التى يسلكها الفدائيون للتسلل إلى إسرائيل، وأعدادهم، وتدريبهم، وأسلحتهم، ومواعيد هجماتهم المرتقبة، وكذلك مخازن الأسلحة والإعاشة.

- قلت إنهم هددوك فى فيينا فى مايو ١٩٧٢.. كيف..؟

ـ قال لى أحدهم إننى الآن وحيدة لا حول لى، وأن المخابرات الأردنية تسعى ورائى، ولأننى أصبحت يهودية ومواطنة إسرائيلية، فهم سيعملون على حمايتى مهما كلفهم الأمر. فكان

المطلوب منى أن أستغل هويتى الأردنية للسفر إلى بيروت حيث لن يشك الفلسطينيون بى.

- فوافقت على التعامل معهم من أجل حمايتك أم لإنهاء موضوع الإرث والتعويض..؟

ـ من أجل حمايتى .. كنت خائفة من المخابرات الاردنية.!!

- لذلك تسلمت أربعة آلاف دولار فقط من الموساد وتنفقين من جيبك كل تلك المدة..؟

ـ أنا لم أكن جاسوسة لكى آخذ أجرا!!

- أين تدربت على استعمال اللاسلكى..؟

ـ فى تل أبيب.

- متى..؟

ـ فى الفترة من ٢٠ سبتمبر إلى ٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

- من قام بتدريبك ..؟

ـ ضابط مهندس اسمه يوسف بن بورات.

- هل ١٣ يومًا تكفى لتدريبك على استعمال اللاسلكى..؟

- كان الجهاز تقنياً متقدماً جداً.. وبسيط فى طريقه بثه وإرساله.

- ما سر صفحات المصحف الناقصة..؟

- كانت توجد بها الشفرة السرية.

- كيف تعرفت بمارون ومانويل..؟

- عرفتنى عليهما خديجة زهران.

- وكيف جندت الثلاثة لمعاونتك ..؟

- تعرفت أولاً بمانويل ثم جائنى بمارون بعد ذلك..

- هل مارسا الجنس معك..؟

- نعم .. وكان ذلك قبل أن يعملا معى.

- هل نصحك ضباط الموساد بذلك..؟

- لا .. فعلت ذلك لأضمن ولاءهما لى.

- هل خديجة زهران شريكة لك منذ البداية..؟

- لا.. لم تكن تعرف بمهمتى إلا منذ فترة وجيزة. لكنها ساعدتنى قبل ذلك عن غير قصد.

- كم أنفقت على شركائك الثلاثة من أموال..؟

ـ لا أدرى كم بالضبط .. لكن مارون تسلم منى ما يزيد عن الثلاثة آلاف ليرة قبلما ينضم لى.

- تقصدين قبل أن يكتشف أنه يعمل لصالح الموساد. وماذا قدم لك مارون..؟

ـ عرفنى بعلى حسن سلامة، وجاءنى بأرقام التليفونات السرية للزعماء الفلسطينيين.

- ومانويل..؟

ـ كان يشاركه . وكان مارون مسئولاً عنه.

- وما دور خديجة معك..؟

ـ كانت تمدنى ببعض المعلومات التى تجلبها من زوجات الضباط الفلسطينيين من المترددات على محلها.

امرأة بلا وطن

• هل طلب منك رجال الموساد اغتيال سلامة..؟

ـ لا .. مطلقاً . لم يطلبوا منى ذلك. لكنهم أوصونى بأن أوطد علاقتى به وأقوم بتصويره.

• وهل فعلت ذلك..؟

ـ لم أستطع .. وقد غضبوا منى لأنهم كانوا يجهلون ملامحه وكانوا يلحون فى ذلك.

حكم على عميلة الموساد بالإعدام شنقاً .. لكن لم يتم تنفيذ الحكم وتردد أن ياسر عرفات رفض ذلك قائلا : إن العالم سيسخر من منظمة التحرير لأنها تعدم النساء .

وبعد قرابة نحو خمس سنوات وهى سجينة كهف « السعرانة»، كان قد تقرر مبادلتها مع إسرائيل بفدائيين من حركة فتح كانا فى السجون الإسرائيلية. وتقرر لذلك يوم ١٣ فبراير سنة ١٩٨٠، واختير مطار لارناكا فى قبرص لإتمام عملية المبادلة.

وفـى مطلـع عـام ١٩٨٤ نشـرت مجلـة «بمحانيــة» العسـكرية الإسرائيلية خبرا صغيرا يقول إن وزير الدفاع أصدر قرارا بصـرف معاش دائم للمقدم آنى موشيه بيراد التى تصـدرت لوحـة الشـرف بمدخل مبنى الموساد .

وهى لوحة تضم أسماء امهر العملاء «ويطلق عليهم الأصدقاء» الذيـن أخلصـوا لإسـرائيل.. وقدمـوا إليـها معلومـات عــن أعدائــها ساعدت على إحراز انتصارات عظيمة..!!

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com